رسائل الفتح مصدرا من مصادر التاريخ العثماني

رسائل فتح القسطنطينية إلى الأراضي العربية أنموذجا

أ.م. د. حازم سعيد محمد منتصر

رئيس قسم اللغة التركية

كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر

المقدمة :

تميزت الدولة العثمانية بالحفاظ على وثائقها وأوراقها، وكتابة تاريخها وأحوالها، وفي بدايتها عينت شاهنامجي لجمع الوقائع ونظمها، وكتابة كل تفاصيل أحداثها، وبأجمل شعر بديع قرضها، وبنظم متناغم مسبوك تدبيجها، وكان كاتب الشاهنامة رئيسا لهيئة اختلفت أعدادها، ولما اتسعت الدولة وكثرت أحداثها؛ شق على تلك الهيئة جمع أخبار الدولة ومعرفة أحوالها، كما استحال عليها نظمها، فكتبت بالنثر تاريخها، ونثرت وقائعها وتفاصيلها، وأضحى كاتب الوقائع رئيسا لها، وفي خزانة الأوارق حافظت الدولة العثمانية على جل مراسلاتها، ولم تفرط في أي من سجلاتها، هذا بخلاف مؤلفات مؤرخيها وكُتابها؛ ولهذا تنوعت مصادر تاريخها، ومنابع أحداث عصورها، فكان من مصادرها كُتب المنشئات والسفارات، بالإضافة إلى التشريفات والوفيات، ومنها التذاكر والمذكرات، هذا بخلاف السليم نامه والسالنامات، وسليمان نامة والسورنامات ، وغزوة نامه والروزنامات ...الخ.

ولا جرم أن الـ"فتحنامه" أي رسائل الفتح تُعد من أهم المصادر التاريخية، لأنها رسائل صادرة عن سلطان البرية، وتعد من وثائق الدولة الرسمية، كما أنها تلخص وجهة النظر العثمانية، في كل ما يتعلق بإحدى الحروب الدموية، فتبين أسبابها وأهوالها، وتوضح نتائجها وأحوالها، فلم تكن الفتح نامة مجرد رسالة عادية، تزف بشرى النصر إلى بعض البرية، بل كان إرسالها يتضمن ما لم يذكر في سطورها، فكانت تُرسل إلى المدن العثمانية؛ لتحمل بشرى النصر إلى بعض البرية، وتنشر الفرحة بين الرعية، وتدفعهم إلى اخلاص التبعية، وبذل كل ما في الوسع والتضحية، والدعاء للسلطان في العلن والطوية، وبها تحصل الدولة على فوائد جلية، وتحافظ على جبهتها الداخلية، وتوثق العرى بين الراعي والرعية.

أرسلت الدولة العثمانية الفتح نامة إلى الأصدقاء؛ لإظهار العظمة والثراء، ولإبداء قوتهم على الغبراء، وللحفاظ على السلام ومنعا للضراء، أو لجعلها وسيلة

لإزالة الشحناء، واشراكهم في هذه السراء، أو لترغيبهم في الانضواء تحت الراية واللواء، كما أرسل العثمانيون رسائل الفتح إلى الدول المعادية، والمجاهرة بالبغض والكراهية، والتى اكتوت بالحقد فأضمرته، وأخفت غير ما أظهرته وادعته، لتحذرهم من قوتهم العصية، وتحضهم على المهادنة والروية، وتهددهم بمثل هذه العاقبة، وتظهر لهم قوتها الضاربة، وتتوعدهم بالهزيمة الساحقة، وتذكرهم بالهزائم السابقة.

كما أُرسلت كتب الفتح إلى البعيد من الدول على وجه الغبراء؛ لكسب الصيت والشهرة في كل الأنحاء، والسماع بانتصارهم في البسيطة جمعاء، لتحفيزهم على عدم إظهار العداء أو لدفعهم إلى توثيق عرى الصداقة والمحبة والولاء.

لما يسر الله للسلطان العثماني محمد الثاني فتح القسطنطينية، وتحققت على يديه البشرى النبوية، الواردة في حديث خير البرية عليه أفضل السلام والتحية " لتفتحن لكم القسطنطينية"، نشر خبر فتحه في الأفاق، لأن فرحته بلغت السبع الطباق ، فخط رسائل معدودات، وأرسلها إلى جميع الولايات، ولم يكتف بنشر الخبر فى دولته ؛ لأنه رغب فى إسعاد كل أهل ملته ، فأرسل رسائل فتحية ، وبشر أمراء الدول الإسلامية، فأرسل إلى شاه إيران بشارة، كانت على فرحته أمارة، وكتب إلى عزيز مصر رسالتين ، وأرسل رسالة إلى الحرمين ، فكان أثر رسالته في القاهرة، احتفالات مديدة وفرحة ظاهرة، فسعد بهذا النصر الكبار والصغار، ودام الاحتفال ستة أيام بالليل والنهار، فبالغت القاهرة في الاحتفال والإشهار ، ولفتح استانبول قرعت الطبول في شوارع القاهرة ، وزينت شوارعها الخاوية والعامرة ، وخاصة عند قدوم وذهاب جلال الدين القابوني ، ورفيقه الحاج محمد

الزيتوني، رسولا السلطان محمد الثاني، إلى إينال شاه [١] والشريف الحسن العجلاني[٢]

فقد خص الفاتح أهل مكة المكرمة برسالة مفخمة معظمة، صحبتها هدايا ثمينة قيمة، ليبشر بالفتح والنصرأهالي الحرمين؛ كى تعم الفرحة جميع المسلمين، فقرئت رسالته أمام الكعبة، ونال دعاء جل أهل مكة، ولم يرسل الفاتح إلى الحرمين تلك الرسائل فحسب، بل أرسل معها الكثير من الذهب، وأمر بمنح بعضه للمجاورين، وتوزيع الباقي على أهالي الحرمين، ولا جرم أن تلك الرسائل تبين ما كان عليه الأوائل، وما اتسموا به من الفضائل، وقد سار عزيز مصر وشريف مكة على نهج السنة النبوية ، وطبقا حديث خير البرية، عليه افصل الصلوات والتحية حين قال " إذاُحيتم بتحية "، ورد كل منهما على الفاتح برسالة معظمة، وعلى

[١] - هو واحد من سلاطين المماليك لقب بالأشرف، واسمه أبو النصر إينال ناصري من مماليك الجراكسة، كان من مماليك السلطان جقمق، ولكنه جلس على عرش دولة المماليك بعد الملك منصور عثمان سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣م، وكان أميا ولكنه حسن السيرة، وترك الحكم سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦١م، ووافاته المنية بعدها بثمان سنوات وخلفه ابنه الملك المؤيد أحمد . شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، استانبول ١٣١٦هـ، ج ٢١، ص ٩٧٤ .

[٢] - بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني (٨٠٢ - ٨٥٩ هـ = ١٤٠٠ - ١٤٥٥ م): من أمراء مكة في عهد الأشراف . وليها مشاركا لأبيه سنة ٨١٠ هـ، وانفرد بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٩ فاستمر إلى سنة ٨٤٥ وعزل بأخيه علي. ثم أعيد. بأخيه أبي القاسم سنة ٨٤٦ وأعيد سنة ٨٥١ هـ فاستدعاه السلطان جقمق إلى مصر، فقدمها ولقي منه عناية وإكراما. وعاد إلى مكة فاستمر أميرا إلى أن توفي. وكان فاضلا، له نظم، قال ابن تغري بردي: كان رجلا طوالا حسن الشكل عادلا في أحكامه مدبرا سيوسا شجاعا، فيه سكينة، وعليه حشمة ووقار، مات وهو أرأس بني عجلان. جلال الدين السيوطي، نظم العقيان فى أعلام الأعيان، بيروت ١٩٢٧، ص ١٠٠، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥، ج ٢، ص ٤٩ . السخاوي، التبر المسبوك فى ذيل الملوك، المكتبة الأزهرية، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ١٤، ١٤٣، ١٨٤.

هدياه بهدايا مفخمة مباركة. فحمل رسالة حاكم مصر برسباي الإينالي، وحمل رسالة شريف مكة نجم الدين السيوطى .

ولقد اخترنا الحديث عن رسائل فتح القسطنطينة، وردود عزيز مصر وشريف الأراضي المكية؛ نظرا لأهميتها التاريخية والدبلوماسية، وتنوع أساليبها الأدبية واختلاف صياغتها وطبعها، وتنوع أسلوبها ومفادها حسب الجهة الموجهة لها، فقد كتبت هذه الرسائل بصورة لا مثيل لها، وبيد عالم نحرير تم خطها؛ وبأسلوب أديب خطير تم سبكها، لتوضيح أسباب الحرب وأحداثها، وبيان نتائجها وأهوالها، فكان كاتبها شاهد عيان، ومن أصحاب البلاغة والبيان، واقفاً على سياسة المرسل إليه في هذا الزمان ، عالما بكل أحواله والشأن .

وفي هذا البحث حللنا الرسائل والردود، لأنه أمر لازم محمود، سيوصلنا إلى الهدف المنشود، ومن خلالها ألقينا الضوء على طبيعة العلاقة الدولية، بين مصر والدولة العثمانية، ولا جرم أن رسالة الفاتح إلى الأراضي المكية تحمل أهمية تاريخية، لأنها تعكس اهتمام العثمانيين بإسعاد أهالي الحرمين، كما أنها تعطينا صورة مرئية عن العلاقات الدولية، وتبين منزلة الحرمين، ومكانتهما فى نفوس العثمانيين، واهتمامهم وانشغالهم بها، قبل أن تكون لهم تابعة.

كما أن تناول تلك الوثائق بالدراسة، أمر لا تخفى أهميته على أصحاب الفراسة، وهو موضوع جد خطير، يحتاج إلى جهد كبير، والموضوع بلا ريب جديد في بابه؛ ولهذا تم اختياره وانتخابه، فلم يتعمق في تحليل تلك الرسائل أي من الكُتاب، رغم نشرهم نصها في الملاحق والأبواب، وكان منهم الدكتور احمد فؤاد متولي، وتبعه الدكتور سالم الرشيدي وعبد الجليل التميمي، وأشار إليها أغلب من تناول العلاقات العثمانية ـ المملوكية، ولكن لم تخصص لها أية دراسة تحليلية، فأشار أغلبهم إليها بإيجاز شديد، واكتفى أغلبهم بنشرها ووجد في هذا الرأي السديد، فوجدنا أنه من المناسب التعمق في تحليلها، والإسهاب في تفسيرها

وتأويلها، والبحث فيه ما فيه من المصاعب زللها العلي لكل راغب وطالب، كان من ضمنها لغة الرسائل وتحليل فحواها، والوقوف على معانيها ومبناها، وغيرها من المسائل التى عهدنها.

ولقد استخدمنا المنهج التكاملي؛ لتحقيق هدف واضح جلي، وهو التعريف بأهمية رسائل الفتح كمصدر تاريخي، ورصد أصداء تلك الرسائل، وما ورد عنها في مختلف المصادر، وكان مصدرنا الأساسي هو الرسائل نفسها، التى قام فريدون بك (١) بنشرها، هذا بخلاف مصادر كانت للحدث معاصرة، خطها أصحابها في الأيام الغابرة .

١ - إن فريدون بك واحد من أشهر المنشئين العثمانيين، ولقد نشأ فى استانبول وعمل فى منصب باش كاتب الوزير الأعظم صوقولى محمد باشا، وتاريخ ومكان مولده غير معروف بصفة قطعية، وذكر فى وقفيته أن اسم أبيه عبد القادر، ويعتقد أنه من الديوشرمة، وكنيته أحمد الشهير بفريدون التوقيعي، نشأ فريدون بك فى منزل وكنف الدفتردار جيفى زاده عبدي جلبي، وعن طريقه دخل فى خدمة أمير أمراء الروميلي صوقولى محمد باشا (١٥٥٣م)، وشارك مع السلطان سليمان القانونى فى حملة نحجوان سنة (١٥٥٤م)، ولما شغل صوقولى محمد باشا منصب الوزير الأعظم عينه فى منصب كاتب الديوان الهمايوني هذا بالإضافة إلى منصب كاتب سره، وهكذا زادت مكانته فى شئون الدولة، ولجهوده التى بذلها في أثناء حرب سيجتوار كافأه السلطان سليمان القانوني بمنصب " دركاه عالي متفرقه سي " أي كاتب العتبة العليا كما منحه زعامة، ولقد ساعد صوقولى محمد باشا فى تهدئة الأوضاع وحفظ الأمن أثناء وفاة القانوني واعتلاء السلطان سليم الثاني كرسي العرش، فعين فى منصب رئيس الكتاب فى ١٢ يونيو ١٥٧٠م وبعدما شغل هذا المنصب ثلاث سنوات ونصف عين فى منصب النيشانجي، تمكن بعد مرور شهر على جلوس السلطان مراد الثالث على كرسي العرش من إكمال أثره الضخم المسمي " منشئات السلاطين "، وقدمه إلى إلى السلطان بواسطة صوقولى محمد باشا، ولكن فريدون بك لم ينل الجائزة التى ينتظرها كما أنه عزل من منصب النيشانجي بعد فترة قصيرة (١٠ إبريل ١٥٧٦م) وعين أميرا على سنجق سمندره وأبعد عن استانبول، ثم نقل من سمندره إلى منصب أمير سنجق كوستنديل، وبعد اغتيال الصدر الأعظم صوقولى محمد باشا استدعي إلى استانبول وعين فى منصب النيشانجي مرة أخري، ولكنه لم ينعم كثيرا

ولقد تناولتنا الرسائل الفتحية باعتبارها مصدرا من مصادر تاريخ الدولة العثمانية، وأوضحنا أهميتها ومكانتها التاريخية، ثم تناولنا ما كتب في فتح القسطنيطينية من رسائل وكتب مرضية، ولأن هذه الرسائل نشرت فى مجموعة "منشئات السلاطين " تناولنا المنشئات (١) بالبحث والتبيين، ثم تناولنا بالدراسة تلك الرسائل الفتحية، التي أرسلها الفاتح إلى مصر والأراضي الحجازية، وأُجبرنا على تناولها كلها؛ نظرا لارتباطها ببعضها، وتناولنا كل منها على حدة، وحللناها واحدة بعد واحدة ، فأوضحنا عنوان الرسالة ومحتواها، وبينا تاريخ إرسالها

بهذا المنصب إذ وافته المنية فى ٢١ صفر ٩٩١ هـ / ١٦ مارس ١٥٨٣ م، ودفن فى مقبرته الكائنة فى منطقة أبي أيوب الأنصاري.

Bursalı Mehmet Tahir Bey, *Osmanlı Müellifleri*, Hz. A.Fikri Yavuz, İsmail Özen, Meral Yayınevi, İstanbul 1972, II, 111-112, Mehmed Süreyya, Yayına hazırlayan : Nuri Akbayar, Sicil-i Osman-i, İstanbul 1996, c. II, s. 520- 521.

محمد ثريا، سجل عثماني ياخود تذكرء مشاهير عثمانية، دار الطباعة العامرة ١٣٠٨، ج ٤، ص٢٠

[١] - إن كلمة منشئات فى العربية تعنى السُّفُنُ المَرْفُوعةُ الشُّرُعِ ومنه قوله تعالى " وله الجواري المنشئات فى البحر كالأعلام " (الرحمن، ٢٤) أما فى التركية فهي فن من فنون الكتابة النثرية، فالمنشئات أسم يطلق في اللغة التركية على النثر المكتوب طبقا لقواعد علم الإنشاء، والكتب التى تضم تلك الكتابات يطلق عليها اسم مجموعة أو مجموعة المنشئات. وتضم مجموعات المنشئات أجمل نماذج النثر التركي فى العصر الذي كتبت فيه، ولقد ظهر هذا النوع من الكتابة فى الأدب التركي فى القرن الخامس عشر واستمر حتى القرن التاسع عشر ولا توجد فروق كثيرة فى أسلوب كتابة المنشئات على مر العصور .

"Münşeât", Meydan Larousse, C.9, İstanbul., 1971, s. 148.; Orhan Şaik Gökyay, "Tanzimat Dönemine Kadar Mektup", Türk Dili Dergisi, C.XXX, S.2, Ankara., 1974, s.18

ومبناها، وذكرنا الهدف من إرسالها وفحواها، وطريقة استقبال حامل الرسالة المبشرة، ووقع هذا الخبر في مكة والقاهرة، وكان هذا من خلال المصادر التاريخية المعاصرة، فتناولنا رسالة الفاتح إلى إينال شاه عزيز مصر، سلطان دولة المماليك في ذياك العصر، ثم الرسالتين اللتين أرسلهما إينال شاه إلى محمد الثاني، ثم رسالة الفاتح إلى الحسن العجلاني، ثم جوابه علي عليه بلا تواني، ومن خلال تحليلنا لهذه المراسلات، اكتشفنا خطأ في كتاب المنشئات، وخلطا بين هذه المراسلات، ولذا اضطررنا إلى تناول التواريخ الواردة بها في جزء منفصل، وثم أدرجنا الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع ثرية، تضم مصادر عربية وعثمانية وتركية ، ولقد كتبت الرسائل الفتح بسجع عديم المثيل، فأثرت فيّ بنثرها الجميل، ووجدت نفسي إلى السجع تميل، فعمدت إلى كتابة مقدمة على شاكلة الرسائل، وصرت لهذا الأمر طالب وسائل، وتفانينت في هذا العمل، راجيا من الله بلوغ الأمل، فكتبته مستعينا بالملك الرفيق، فمنه العون وبه التوفيق .

أولا : رسائل الفتح في العصر العثماني

إن تاريخ الدولة العثمانية الذى امتد لقرون عديدة قد كُتبت فيه آلاف المؤلفات التى تختلف فى محتواها وطريقة كتابتها والهدف منها، فقد كُتب العديد من المؤلفات لشرح حرب معينة أو لشرح حياة أشخاص معينين، ولقد أطلق اسم "فتح نامة " فى الدولة التركية الإسلامية بصفة عامة على الرسائل والفرمانات المبشرة بالانتصار والفتح وكذا على الأعمال التاريخية التى تتناول فتح بلدة معينة، فقد كان حاكم ذاك العصر فى حاجة ماسة إلى إرسال رسائل الفتح المبشرة بانتصاره وفوزه إلى داخل وخارج دولته وليظهر قدرته وقوته للقريب والبعيد،(١) وأول ظهور لعادة كتابة رسائل الفتح كان فى الدولة العباسية(٢)، ولقد استمرت عادة كتابة رسائل الفتح بعد ذلك فى عهد الدول الغزنوية والسلجوقية والخوارزمية والايلخانية والصفوية والمملوكية والعثمانية (٣) وفى الأغلب الأعم كانت ترسل هذه الرسائل مع وفد دبلوماسي يحمل معه بعض الهدايا من الغنائم(٤)، وترسل أحيانا أخري مع

---

[1] - İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Devleti Teşkilatına Medhal,* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1984, s. 70.

[٢] - أرسلت اولى رسائل الفتح في العصر العباسي عندما تمكن الخليفة العباسي المعتصم بالله من القضاء على الفتنة التى هددت دولته وذلك بالقبض على بابك الخرمي في (١٠ شوال ٢٢٢هـ= ١٦ سبتمبر ٨٣٧م)، فأرسل إلى أمراء المسلمين يبشرهم بنصره، ويخبرهم بإعدام بابك الخرمي، وبين القلقشندي أن تلك الرسائل المؤذنة بحصول نعمة ظاهرة كالفتوح يتعدد الحمد فى أولها. أبي العبا س أحمد القلقشندي، *صبح الأعشي*، القاهرة ١٩١٥، ج ٦، ص ٤٠٠ – ٤٠٢.

[3] - M. Fuad Köprülü. ***Bizans Müesseselerinin Osmanlı Müesseselerine Tesiri***, İstanbul 1931, s. 184-185.

[4] - İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Devleti Teşkilatına Medhal,* Ankara : Türk Tarih Kurumu, 1984, s. 70.

رأس العدو المقطوعة أو الأسري، وكانت هذه الرسائل بالنسبة للدول الصديقة رسالة تبشير بالنصر، وبالنسبة للدول المعادية رسالة تهديد واستعراض للقوة، ولهذا فقد سميت رسائل الفتح هذه أحيانا باسم " ظفر نامة"، و"بشارت نامه " وأحيانا أخري باسم " تهديد نامة "، أما فى القرن الخامس عشر فقد أطلق عليها اسم "موشتولق " أي البشارة (١).

لغتها: ولقد صنفت رسائل الفتح التى كُتبت لتبشير أمراء الدول الإسلامية بانتصارات حققتها الدولة العثمانية ضمن وثائق " نامهء همايون" أي الرسالة السلطانية، فكانت تُكتب رسالة الفتح التى سترسلها الدولة العثمانية إلى دولة أخري بلغة الدولة المرسل إليها الرسالة، ولقد كُتبت هذه الرسائل باللغات : التركية والعربية والفارسية واللاتينية، وعلى سبيل المثال فلقد كتب الفاتح رسالة إلى شرق الأناضول بالحروف الايغورية، ولقد كتبت رسالة فتح القسطنطينية إلى مصر وشريف الأراضي المكية بالعربية، كما كتبت رسالة فتح القسطنطينية إلى شاه الأراضي الإيرانية بالفارسية، أما فى داخل الدولة العثمانية فقد كان يُعهد إلى الإداريين الذين ينوبون عن الصدر الأعظم مثل القائمقام والولاة والقضاة فى الأطراف بتبشير السكان القاطنين فى الدولة ببشري الفتح، وكانوا يكتبونها بلغة الدولة أي باللغة العثمانية .

كاتبها : وكان يخط رسائل الفتح في الدولة العثمانية من يشغل منصب النيشانجي([٢]) بصفة رسمية، وفي بعض الأحيان كان يكتبها المضطلعون بلغة من

[1] - Refet Yinanç, "*Fatih'in Türkçe İstanbul Fetihnamesi*", TDA, sy. 29 (1984], s. 19

[٢]- يطلق عليه النيشانجي ويسمى أيضا الطغرائي أو الموقع، ويعد من أهم الوظائف من حيث موقعه وصلاحياته، ومهمته معرفة القوانين القديمة والحديثة والشرعية معرفة جيدة لأنه يتم استشارته في هذا الخصوص وإعداد الرسائل التي سترسل إلى حكام الدول الأخرى

له الرسالة سيرسلون، فرسالة فتح القسطنطينية كتبها قاضي الجند ملا گورانى (١) بالعربية، وكتبها خواجه كريمي بالفارسية، أما إدريس البتليسي أشهر مؤرخي العصر قد كتب من أجل السلطان سليم رسالة فتح مصر، أما رسالة فتح البغدان، فقد خطها مطرقچي نصوحي صاحب الشأن(٢).

محتوياتها : تتضمن رسائل الفتح العثمانية فى الأغلب الأعم عدة معلومات أساسية، وهي: حمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة علي نبيه وآله، وتوضيح أن مهمة السلطان هي دفع المظالم وإقرار نظام العالم، وأن حرب السلطان كانت لصد البغي والطغيان، وبيان كثرة جند العدو وقوته، ووضعه فى الحرب وشجاعته، وتوفيق المولى عز جاهه ونصره للسلطان وأتباعه، وهزيمة العدو وجنوده، تفريق جمعه وحشوده، وشكره لله على نعمته، وضم أرض العدو إلى دولته، وإرسال بشرى

والوزراء والبراءات والمعاهدات والقرارات والفرمانات وختمها بالطغراء التي تعد توقيع السلطان.

Midhat Sertoğlu, ***Osmanlı Tarih Luğatı,*** İstanbul 1986, s. 336-337.

١ ـ هو الشيخ أحمد بن إسماعيل المشهور باسم ملا گورانى، وهو من أعظم علماء الدولة العثمانية، ورابع من نالوا منصب المشيخة الإسلامية فيها، رحل من بلده إلى القاهرة، تعلم علي يد أكابر علماء عصره، إذ أنه أخذ إجازة فى الحديث من ابن حجر العسقلاني، وكان له باع طويل فى التفسير الفقه، دخل فى البلاط العثماني فى عصر السلطان مراد الثاني، وعمل بالتدريس فى بورسه وادرنة ثم عين معلما للأمير محمد الذي لقب بالفاتح بعد ذلك، فعلمه القرآن وكل ما يلزم من العلوم، لما اعتلى الفاتح كرسي السلطنة عرض عليه الوزارة ولكنه رفضها وقنع بمنصب قاضي الجند، ورجع إلى مصر فترة ثم استدعاه السلطان محمد الفاتح عينه فى منصب شيخ الإسلام وظل فيه ثماني سنوات حتى وافته المنية، ودفن فى استانبول سنة ٨٩٣ هـ، وترك فى التفسير كتاب " غاية الأماني فى تفسير السبع المثاني " وفى الحديث " الكوثر الجاري علي رياض البخاري "، انظر : شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، استانبول ١٣١٤، ج ٥، ص٣٩١٥ ـ ٣٩١٦ .

[2] - Hasan Aksoy, " ***Fetihname", Diyanet İslam Ansi***.,C.XII, s.471.

النصر للأمراء، وذكر من يحمل رسالته من السفراء، وسعادة السلطان بهذا النصر المبين، ورجائه الدعاء له فى كل وقت وحين(١) .

قيمتها التاريخية : تُعد رسائل الفتح من أهم المصادر التاريخية لأنها تتضمن تأريخا للوقائع الحربية، كما أنها كُتبت في الأغلب من شخصية للفتح معاصرة بعد تحقق النصر بطريقة مباشرة، ولما كانت المبالغة من سماتها يجب مقارنتها قبل استخدامها، وهذا لمعرفة غثها من سمينها، وتحليل ما فيها من معلومات، معتبرين أنها تقيم شخص بالذات (٢).

قيمتها الأدبية : اعتبرت رسائل الفتح فى تواريخ الأدب نوعا أدبيا قائما بذاته، فقد أطلق اسم " فتح نامه " على الكتب التى تصور فتح مدينة أو قلعة وانتصار فى حرب ما، كما أطلق عليها أيضا اسم " غزوات نامه " أو " ظفر نامه " أو " سفر نامه " (٣) ولقد خُط عدد غير قليل من كتب المغازى فى عصر الدولة العثمانية، وقد قدمت تلك الكتب معلومات تفصيلية عن حرب من الحروب قوية، ووصفت أحداث حروب شعواء، سالت فيها أطهر الدماء، ولكنها سدت فجوة مهمة فى التاريخ العثماني بصفة عامة (٤) وهناك كثير من المؤلفات حمل عنوان " فتح نامه " ومن هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر. كتاب " فتح نامةء اينه بختى ومتون " لسينوبلي صفائي ويقع فى ٣٩٠٠ بيت، ومن كتب الفتوح أيضا " فتح نامهء ديار عرب " لسلاحشور السلطان سليم الذي شارك فى حملة السلطان سليم على مصر، وقد نشره بالتركية صلاح الدين طانسل، وكتاب فتح نامهء بلجراد " التى دبجها الشاعر ساعي فى عصر سليمان القانوني، وكتاب " فتح نامة خير الدين

[1] - İsmail Hakkı Uzunçarşılı, ***Osmanlı Devletinin Saray Teşkilatı,*** Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1988, s. 288.

[2] -İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *a.g.e.*,s. 289.

[3] - Hasan Aksoy, " Fetihname", *Diyanet İslam Ansi*.,C.XII, s.471.

[4] - Mustafa Erkan, Gazavatname, *Diyanet İslam Ansi*.,C.XIII, s.439-440 .

باشا" الذي يشرح غزوات خير الدين بارباروس باشا وخاصة حرب بروزه، والذي دبجه الشاعر مرادي، وكتاب " فتح نامهء قلعةء جربه " للشاعر ندائي ٩٦٧ هـ ١٥٦٠ م، وكتاب " فتح نامه ء يمن " للشاعر رموزي سنة ٩٧٧ هـ ١٥٦٩ م، ويقع فى عشرين الف بيت، ويتناول فتوح سنان باشا فى اليمن فى عصر السلطان سليم الثاني، وكتاب " فتح نامهء كمينجه " لنابي وهو عمل منظوم ومنثور، يتناول فتح قلعة كمنيجة فى عصر السلطان محمد الرابع، وفتح نامهء بلجراد " الذي خطه مصطفى منيف الأنطالي فى عصر محمد الأول سنة ١١٥٢ هـ ـ ١٧٣٩ م، وكتاب " فتح نامهء بلجراد " لقوجه راغب باشا وهو منظوم ومنثور(١) . وكتاب " فتح نامهء رودس " و" فتح نامهء قره بغدان " و"مهاج نامه " لجلال زاده قوجه نيشانجى مصطفى بك (١٤٩٧- ١٥٦٧م) وفيها تناول أحداث عصر القانونى حتى ١٥٥٥م (٢).ومن الأعمال التى كتبت بالعربية على هذا الشاكلة فى عصر الدولة العثمانية كتاب عبد الرحيم العباسى المصرى المسمى " منح رب البرية فى فتح رودس الأبيه "ويفهم من العمل ان المؤلف شارك فى حرب رودس وفى فتح الجزيرة سنه ١٥٢٢م (٣).

---

[1] - Hasan Aksoy, " Fetihname***", Diyanet İslam Ansi***.,C.XII, s.471.

[2] - Celalzade Mustafa Çelebi, ***Selimname*** ; haz. Mustafa Çuhadar, Ahmet Uğur, Ankara : Kültür Bakanlığı, 1990, XI, s. 461; Celalzade Mustafa Çelebi, ***Tabakatü'l-memalik ve derecatü'l-mesalik*** (Geschichte Sultan Süleyman Kanunis von 1520 bis 1557) ; yay. haz. Petro Kappert, Wiesbaden : Franz Steiner Verlag, 1981, X, 181, 528 s.

[٣] - انظر : عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى منح رب البرية فى فتح رودس الأبية تحقيق فيصل عبد الله الكندرى الحولية الثامنة عشر كلية الأداب – جامعة الكويت ١٩٩٧ م

فتوح القسطنطينية : لقد كان فتح القسطنطينية حادثا فارقا فى تاريخ الإنسانية، ولذا فقد كتبت عنه كثير من الفتوح باللاتينية والعثمانية، وطبقا لما سبق ذكره فإن الفتوح التى كتبت عن فتح القسطنطينية نوعان:

الأول: هو رسائل الفتح التي كتبها السلطان محمد الفاتح ليبشر بها ملوك عصره وسنتناولها بالتفصيل فيما بعد.

الثاني: هو كتب الفتوح التى كتبها المؤرخون المعاصرون لهذا الحدث، وأشهر الفتوح التى كتبت عن فتح القسطنطينية فى العثمانية هي ما يأتي :

١- **" تاريخ أبو الفتح"** لطورسون بك المعروف بمؤرخ الفاتح، شارك طورسون بك في فتح استانبول وبلجراد وفى كل الحروب التي شنها الفاتح على الصرب وقد كتب طورسون بك الأحداث التي شاهدها بلغة صعبة ومزينة، وتناول الكتاب الأحداث التاريخية من جلوس الفاتح على كرسي العرش حتى حملة خادم على باشا على المماليك والتي هزم فيها سنة ١٤٨٨م (١) ورغم أنه كتب في عصر السلطان بايزيد الثاني فإنه يعد من أهم مصادر عصر الفاتح لأنه عايش هذه الأحداث(٢) ولقد نشر بالتركية الحديثة ونشرت عنه العديد من المقالات والأعمال (٣).

---

[1] - Franz Babinger, ***Osmanlı Tarih Yazarları Ve Eserleri,*** İstanbul 1992, s.29; bk. Tursun Bey, ***Tarih-i Ebul- Feth***, (haz. Mertol Tulum), İstanbul 1977; Tursun Beg, ***The History of Mehmed the Conquerar,*** trc. Halil İnalcık, Rhoads Murphey, Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1978.

[٢]- Sade Nesirden Süslü Nesire: *Fatihin Tarihiçisi Tursun Bey Tarihi Yazma Tarzı*, Osamnlı, Ankara 1999, C. 1, s.293-300.

[٣] - انظر:

Tursun Bey, *Tursun Bey'in Kaleminden Cihan Fatih'i*, İstanbul: Güncel Yayıncılık, 2003.

٢- كتاب " **تاريخ فتح قسطنطينية** " لكمال باشازاده، ويحتمل أن تكون رسالة الفتح هذه قسما من الجزء السابع من كتاب " تاريخ آل عثمان" الذي كتبه كمال باشا بأمر من السلطان بايزيد الثاني، ولقد سجل فى العديد من المكتبات بهذا الاسم ([1]) .

٣- **" فتح نامة سلطان محمد "** ألفه محمد قوامي الذي لم تُعرف شخصيته، وهو مؤلف منظوم منثورا يتضمن خمسة وعشرين قسماً عن عصر الفاتح، وثلاثة أقسام عن السنوات الأولى من عصر السلطان بايزيد، إن هذا المؤلّف الذي خُط في عصر بايزيد يتناول كل أحداث عصر الفاتح تقريبا، وبعد ذلك شرح جلوس السلطان بايزيد على العرش وفتح كيلي (٢).

٤- **" تاريخ آل عثمان "** لمحمد خليل القونوى، وقد كلفه الفاتح بكتابة تاريخ عن الدولة العثمانية، فكتبه بالفارسية، وتحدث فيه عن سلاجقة الأناضول ثم شرح أحداث التاريخ العثماني حتى سنة ٨٩٩هـ -١٤٨٤م (٣).

---

[1] - Babinger, ***A.g.e.,*** s. 70.; İlyas Çelebi, *"Kemal Paşazade, Eserleri,* **Diyanet İslam Ansiklopedisi,** Ankara 2002, c.XXV, s. 245-247.

للاستزادة انظر

Ahmet Uğur, **Kemalpaşa-Zade İbn Kemal,** Ankara 1996.

[٢] -İsa Kayaalp, "Kıvamı", ***DİA***., C. XXV, s.507; Erhan Afyoncu**,** ***Tanzimat Öncesi Osmanlı Tarihi Araştırma Rehberi***, İstanbul 2007., s.109 ; bk. Kıvami, ***Fetihname-İ Sultan Mehmed***, (haz. Franz Babinger), Ankara: Maarif Vekaleti, 1955.

[٣] -Franz Babınger, ***A.g.e.***, s. 20; Robert Anhegger, "**Mehmed b. Hacı Halil Ül-Kunevinin Tarihi Al-i Osamn"**, *Tarih Dergisi*, İstanbul 1951, S. 3-4, s.51-66.

انظر: محمد بن حاجى خليل القونوى، تاريخ آل عثمان، مخطوط بمكتبة ايسام، (٩٨ ص).

٥- **" خنكار نامة "** لسيد مير على، كتبه سيد مير على بن مظفر المشهور بمخلص مألي، وهو عمل منظوم كُتب على طرز "شاهنامة" فردوسي، قد اعطى مؤلفه أهمية كبرى للأسلوب، ويتناول الكتاب عصر الفاتح، فقد تحدث المؤلف باختصار عن فتح استانبول (١).

٦- ***" فتح قسطنطينية "*** لإمامي زاده محمد أسعد أفندي، وقد كتبه بأمر السلطان محمود الثاني وفيه تنال محاولات فتح استانبول حتى تم ذلك ([٢]).

٧- **" بارقه ء ظفر "** لنامق كمال، وكتبه عن فتح استانبول سنة ١٨٦١ م ([٣]).

٨- ***" محروسهء استانبول فتح نامه سي"*** لمؤلفة تاجي زاده جعفر جلبي.

٩- **" فتح جليل قسطنطينية "** لرائف بك المتوفى (١٩١٦م) الذي كتب عن أحوال استانبول.

١٠- **" استانبول أحوال قديمة تمدن وعمران "**وكتاب**" مرآت استانبول "** وقد طبع مؤلفه المسمى مرآة استانبول فى جزأين (٤).

---

[1] - Robert Anhegger, **Muallinin Hünkarnamesi**, *Tarih Dergisi*, İstanbul 1949,S.1, s.145-166.

[2] - Babinger, ***A.g.e.***, s. 385.

[3] - Babinger, **A.g.e.**, s. 403.

[٤] - انظر : أحمد رائف، مرآت استانبول، استانبول ١٣١٤، (٥٧٦ ص)، خاطرئ اسلاف، دار سعادت ١٣١٠،(٥٥ ص) ؛ طوب قبو سراى همايونى وباركنك تاريخى، استانبول مطبعة أميرية، (٦٤ ص) ؛ سلطان أحمد باركى وآثار عتيقه سى، استانبول ١٩١٦، (٥١ ص) .

Bak. Mehmed Raif**, *Mir'at-ı istanbul*,** yay. haz. Hatice Aynur ; yay.haz. Günay Kut, İstanbul: Çelik Gülersoy Vakfı, 1996, c. 1, (336 s.).

هذا بالنسبة لما كتبه العثمانيون عن الفتح العثماني للقسطنطينية أما ما كتب فى الجانب الأخر وأقصد ما كتبه المؤرخون البيزنطيون فقد تناولها الأستاذ الدكتور حاتم عبد الرحمن الطحاوي فى أكثر من مؤلف (١) .

أما القسم الأول من رسائل الفتح الذي نتناوله فى هذا المقال فهو الرسائل التى كتبها السلاطين العثمانيون لتبشير أمراء المسلمين بالنصر والفتح المبين على أعدائهم وأعداء الدين، ولقد وردت هذه الرسائل فى كتاب "منشئات السلاطين " لأحمد فريدون بك، ولا جرم أن الحديث عن المنشئات فى عجالة سيثري البحث ويخدم المقالة .

ثانيا : المنشئات وأهميتها التاريخية

إن مجموعات المنشئات هى مؤلفات كتبت فى فترة زمنية محددة، كان يطلق على كاتب المنشئات اسم منشئ (٢). وتحتوي تلك المؤلفات على صور الوثائق المتعلقة بالموضوعات المتنوعة، والمنشئات مؤلفات تحمل أهمية تاريخية وأدبية كبري، لأن صور الإنشاء والرسائل الموجودة فى تلك المجموعات توضح الحالة الثقافية والحضارية، والاقتصادية والاجتماعية والأحداث السياسية فى الفترة التى كتبت فيها، كما أنها توضح المؤسسات الموجودة فى الدولة هذا بالإضافة إلى الألقاب المستخدمة فى تلك الفترة والمناصب، والعادات والتقاليد وطريقة تطبيقها، كما أنها تقدم معلومات عن الشعراء والأدباء وأحاسيس رجال الدولة وأفكارهم ونواياهم، وإن الوثائق الموجودة فى مجموعات المنشئات بصفة عامة لا تحتوي

١ - حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الفتح العثماني للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني، القاهرة ٢٠٠٢.

[2] -Münşî", Meydan Larousse, C.9, İst., 1971, s.148.; Haksever, *Türk Edebiyatında Münşeâtlar ve Nergisî'nin Münşeâtı*, İnönü ünv. Sosyal bilimler Enst., (Basılmamış doktora tezi),Malatya, 1995,s.5

على الديباجة والطغراء والختم والتوقيع والختم باليد، وهذا لأن الموجود فى تلك المجموعات صورة من النص الموجود فى الوثائق الأصلية، ولكننا فى أغلب الأحيان يمكننا معرفة صاحب الرسالة أو الوثيقة ورقم الرسالة إذا أُرسلت أكثر من رسالة أو أن هذه الوثيقة رد على رسالة أرسلت من قبل ([1]) .

وتحتوى هذه الكتب على القصص الدينى والرسائل الرسمية التى استكتبها رجال الدولة وكذلك الرسائل الشخصية ولهذا يمكن تقسيم كتب المنشئات طبقا لمحتواها على النحو التالي:

١- مجموعات تضم رسائل رسمية : ولقد كُتب العديد منها على مر العصور المختلفة، ومنها منشئات السلاطين لفريدون بك ومنهاج الإنشاء ليحيي بن محمد كاتب ودستور الإنشاء لصاري عبد الله (١٥٨٤- ١٦٦١م).

٢- مجموعات تضم رسائل الكاتب الشخصية: ويدخل فى هذا القسم المنشئات التى كتبها العديد من الشعراء والكتاب ورجال الدولة، ومنها ما كتبه على شير نوائي (١٤٤١- ١٥٠١) ولمعي (ت ١٥٣١ م)وشيخ الإسلام أبو السعود أفندي وغاليبولي مصطفى عالي (ت ١٦٠٠م)، ونابي (ت ١٦٢٨) وغيرهم الكثير .

١- أطلق لقب المنشئ على الأشخاص الذين يكتبون بأسلوب بديع وجميل، ويطلق أيضا على أفضل كُتاب النثر فى العصر العثماني، وإن كلمات مثل كاتب ومحرر ويازيجي وهى أيضا تعنى كاتب بالتركية لا تعبر عن القدرة والمهارة الخاصة بالمنشئ، فالمنشئ رجل ذو مهارة بالغة في الكتابة ودراية واسعة بالعلوم المختلفة، ولأن الإنشاء علم من العلوم فالمنشئ عليه أن يكون واقفا على كل قواعد وفنون هذا العلم، حافظا للقرآن والأحاديث النبوية وله دراية بالعلوم الإسلامية وله قدرة على اختيار أرق الألفاظ وأجملها ونظمها وصياغتها مع بعضها بعضا.

Abdurrahman Daş, "Türkiye Selçukluları ve Osmanlı Dönemi Hakkında Tarihî Kaynak Olarak Münşeat Mecmualarının Değerlendirilmesi", AÜİFD XIV (2004), Sayı II, s. 205-218

٣- الأعمال التى تقدم نماذج للجمل الافتتاحية والختامية المخصصة لمراسلة الأمراء والحكماء والوزراء والعلماء والقضاة والمشايخ ورجال الدولة، ويدخل فى هذا القسم المنشئات الى كتباها نابي (١٧١٢م) وفصيح أحمد دده (١٦٦٩م) .

٤- المجموعات المكونة بجمع عدد من أشعار الشعراء، ويدخل فى هذا القسم منشئات ويسي (١٦٢٨ م) ونرجسي (١٦٣٥ م) وشريف وصبري ألخ .

وطبقا لهذا التقسيم فإن القسم الأكبر من كتب المنشئات هو الأعمال التى تضم الرسائل الرسمية والخاصة.

منشئات السلاطين : لم يشتهر فريدون بك مؤلف منشئات السلاطين بكثرة التأليف ولكنه حظي بشهرة طبقت الأفاق بكتابه منشئات السلاطين الذي يضم صور رسائل السلاطين العثمانيين حتى السلطان مراد الثالث، وهو أضخم وأفضل وأحسن ما كتب في هذا المجال، ويقع الكتاب فى مجلدين وقد طبع فى استانبول باسم " فريدون بك منشئات مجموعه سي " مجموعة منشئات فريدون بك فى استانبول سنة ١٢٦٤ – ١٢٦٥، ١٢٧٤- ١٢٧٥ هـ، (١) ولقد ورد اسم هذا الكتاب فى كشف الظنون باسم " المراسلات والمكاتب " ويرى أنه جمع الأحداث فى العصر العثماني(٢) أما سلانيكى فيرى أنه يوجد فى هذا المؤلف ١٨٨٠ وثيقة (٣)، وعندما نشر كتاب منشئات السلاطين للمرة الأولي كان يحتوي على ٧٣٥ وثيقة منها ٤١

---

[1] -Abdulkadir Özcan, Abdulkadir Özcan, "Ferîdûn Ahmet Bey", *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, XII, 396-397.

[2] - Kâtip Çelebi, *Keşfü'z-Zunûn*, trc. Rüştü Balcı, Tarih Vakfi Yurt Yayınları, İstanbul 2007, IV, 1317.

حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ١٦٥١.

[3] - " Feridun Bey", *Türk Ansiklopedisi*, Milli Eğitim Basımevi, Ankara 1968, XVI, 253

وثيقة تخص العصر الأول للإسلام وتحتوي على نماذج من رسائل وفرمانات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وسلاطين الدولة العثمانية من عثمان غازي حتى السلطان مراد الثالث، وعندما نشر للمرة الثانية وضع فيه ملخص وترجمة مائة وثيقة عربية وفارسية لم تكن موجودة فى الطبعة الأولى، وطبقا لما ذكره سلانيكى فإن هذا العمل لم يصل إلينا كاملا وفقد جزء كبير من الأصل الذى خطه المؤلف فريدون بك، كما أن هذا العمل يحتوي على تاريخ الشروع فى الحملات الحربية المختلفة كما أنه يحتوى على معلومات يومية عن هذه الحملات، ومنها روزنامة (يوميات) حيدر جلبي الخاصة بحملة السلطان سليم على مصر وإيران، كما يوجد فى العمل روزنامات تخص كل الحملات التى قام بها السلطان سليمان القانوني، كما يوجد فى العمل قوائم بخصوص الولايات والألوية العثمانية المختلفة كما يحتوي على تقرير عن أراضي مصر وقوانينها ([1])، ولقد قدم فريدون بك مؤلفه مجموعة منشئات السلاطين إلى مراد الثالث في احتفالات عيد الفطر فى ٢٢ أكتوبر ١٥٧٥م ([2]).

ثالثا: رسائل فتح القسطنطينية المرسلة إلى الأراضي العربية

جذبت رسائل فتح القسطنطينية المكتوبة بالعربية العديد من الباحثين العرب نظرا لأهميتها التاريخية فقد أشار اليها الدكتور أحمد فؤاد متولى في صفحة واحدة من كتابه "الفتح العثماني للشام ومصر" ونشر في ملاحق كتابه رسالتين منهما دون أي تعليق ([3]) كما نشر الدكتور سالم الرشيدى نص هذه الرسائل في كتابه " محمد

[1] - Mahmut Ak, "Feridun Ahmet Bey", *Osmanlılar Ansiklopedisi*, Yapı Kredi Kültür Sanat Yayıncılık, İstanbul 1999, s. 454

[2] - Necdet Sakaoğlu, *Bu Mülkün Sultanları*, 4.baskı, Oğlak Bilimsel Kitaplar, İstanbul, 2000, s.180.

[3] - أحمد فؤاد متولى، الفتح العثماني للشام مصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية ، القاهرة ١٩٩٥، ص ٤٢، ملحق ١١، ١٢.

الفاتح" بدون أى تحليل أو تعليق ([1]) كما نشرها أيضا الدكتور عبد الجليل التميمى في ملاحق بحثه المسمى" العلاقات العربية العثمانية بعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م "([2]) وقد عرفها بإيجاز، كما أشار إليها كل من تناول العلاقات العثمانية المملوكية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، ولم تنل هذه الرسائل حقها من الدراسة إذا أن جل ما كتب عنها كان عبارة عن إشارات وتعريفات موجزة، ولهذا عمدت إلى تحليلها باعتبارها أنموذجا للرسائل الفتح .

لما منّ المولى عز وجل على السلطان العثماني محمد الثاني بفتح القسطنطينية كتب إلى حكام الدول الإسلامية يبشرهم بهذا النصر والفتح المبين، وأول رسالة من هذه الرسائل كانت لسلطان المماليك في مصر، إذ أن الدولة المملوكية كانت هي الدولة الوحيدة التى تضاهي العثمانيين قوة وسطوة في الشرق، وأرسل السلطان محمد الفاتح رسوله جلال الدين القابوني ([3])إلى سلطان المماليك إينال شاه برسالة طويلة بليغة ليبشره فيها بالفتح ويخبره بمجريات الحرب، ومع نفس الوفد حمل حاجي محمد الزيتوتني رسالة الفاتح إلى الحرمين، فذهب بها إلى مصر أولا ليطلع سلطان المماليك علي ما بها ويأذن بإرسالها إلى الحرمين. وعلى

[1] - سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، دار البشير للثقافة ، مصر ٢٠١٣ ، ص ١٤٢ – ١٥٧.

[2] - تناول الدكتورعبد الجليل التميمى هذه الرسائل بإيجاز وإطناب فعرف بها في صفحات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . عبد الجليل التميمى ، دراسات في التاريخ العربي العثماني ١٤٥٣- ١٩١٨، زغوان ١٩٩٤، ص ٢٣- ٤٧.

٣ - هناك خلاف فى اسم رسول الفاتح، ففى رسالة الفتح قيل عنه " حامل وقر الثناء، وناقل ورق الدعاء فخر الأماجد، ذخر المحامد أمير **جلال الدين القابوني** رزقت عودته بالسلامة " أما في الرد الوارد عليها من سلطان المماليك الجراكسة فقد قيل عنه " إن مكاتيبه الرفيعة التى جهز إلينا على يد رسوله المجلس السامي الأمير الكبيري الذخري العضدي المؤتمنى الجمالي **يوسف القابوني** الناصري أحسن الله وفادته " فقد سمي فى رسالة بجلال الدين القابوني وفى رسالة اخري بيوسف القابوني انظر : فريدون بك، منشئات السلاطين، استانبول ١٢٩٩، ج ١، ص ٢٣٠، ٢٣١.

هذا فيوجد رسالتين من قبل الفاتح غير أنه تم الرد على الرسالتين بثلاثة رسائل، كتب عزيز مصر اثنتين منها وكتب الأخرى شريف مكة ، ولم يوضح أحد ممن تناول هذه الرسائل من قبل ونشر نصها سبب هذا الأمر ، فلا يعقل أن يُرد على الرسالة برسالتين، فهذا أمرمستبعد حدوثه بين الدول، غير أننا عند مطالعة رسالة الفاتح إلى إينال شاه فهمنا منها أن الفاتح أرسل إلى سلطان المماليك مع هذه الرسالة المنشورة والموجودة بين أيدينا رسالة أخري مع نفس الرسول، وهي رسالة ذكر فيها بالتفصيل هداياه التى كانت عبارة عن جزء من غنائم الحرب، وهذه الرسالة لم نتمكن من الحصول عليها، ولم يشر إليها أحد من قبل.

استقبل عزيز مصر رسالة الفاتح بقبول حسن وأرسل له الرد المؤرخ فى ٢٠ ذي القعدة ٨٥٧ هـ [٢٢ نوفمبر ١٤٥٣ م] . والهدايا مع الأمير الأشرف برسباي وكانت هذه الرسالة ردا على رسالة الهدايا ([1])، ثم أرسل سلطان المماليك رسالة أخري إلى الفاتح مع رسوله بروندق الأشرفي الذي صحب رسول الفاتح أثناء عودته إلى أدرنه دار ملك العثمانيين في ذاك الوقت، وأخبره فيها بأنه جهز جاجي محمد الزيتوني للذهاب مع القافلة المصرية إلى مكة المكرمة، وقد أُرخت هذه الرسالة فى أواخر ذي القعدة سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣م، وهذه الرسالة هي الرد على رسالة الفاتح الموجودة والمنشورة لأنها تشبهها في الحجم والاسلوب، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة الأخيرة قد نسبت خطأ إلى السلطان محمد الفاتح، وقد

[1] - طبقا لما ورد فى الرسالة الموجودة فى المنشئات فقد سُمي رسول سلطان المماليك كما يلي " وجهزنا صحبتهم الواصل بهذه المكاتبه وهو المجلس العالي الأميري الكبيري المؤيدي الذخري الاعزي الاخصي المؤتمنى المقربي السيفي **برسباي الاشرفي** أحد أمرائنا "، وذكره ابن تغري بردي فى كتابه حوادث الدهور باسم " **الأمير يرشباي الإينالي** المؤيدي الأمير آخور الثاني **"**. فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣١.؛ ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، تحقيق : محمد كمال عز الدين، عالم الكتب ١٩٩٠، ج٢، ص ٤٥٦ .

أدرجت فى كتاب " منشئات السلاطين" تحت عنوان " الرسالة الهمايونية المرسلة من أبو الفتح السلطان محمد غازي بخصوص فتح أستانبول إلى عزيز مصر ليرسلها إلى شريف مكة المكرمة "، ولكننا عندما اطلعنا على الرسالة فهمنا من معانيها وأسلوبها وألفاظها أنها مرسلة من مصر إلى استانبول.

ولقد أوضح ابن تغري بردي أن سلطان المماليك أوفد رسولا إلى ملك الروم أي السلطان محمد الفاتح فى ٢٠ ذي القعدة ٨٥٧هـ [٢١ نوفمبر ١٤٥٣ م] . ([1])، هذا يتفق مع ما هو موجود من رسائل، وطبقا لما فهم من الرسالة الثانية ـ التى حدث فيها اللبس ـ فقد أرسلها سلطان المماليك مع بروندق الأشرفي الذى صحب جلال الدين القابوني في أثناء عودته إلى دار ملك السلطان محمد الفاتح ([2])، وأوضح ابن تغري بردي فى تاريخة بأن جلال الدين القابونى قد رجع إلى بلاد الروم فى الثالث والعشرين من ذي القعدة ٨٥٧هـ[٢٤ نوفمبر ١٤٥٣ م] ([3]). وكما أن الرسالة المذكورة قد أرخت فى أواخر ذي القعدة ٨٥٧هـ [١ديسمبر ١٤٥٣ م] ([4])، فمن المحال أن تكون قد أرسلت من الفاتح ردا على رسالة سلطان المماليك التى أرسلت قبلها بثلاثة أيام .

قد حمل محمد الزيتوني رسالة الفاتح إلى مصر أولا، ثم جهزه السلطان إينال شاه وأرسله مع القافلة المصرية إلي شريف مكة الحسن العجلانى، ولقد حملت هذه الرسالة بشري الفتح إلى الحرمين، وتحتوي هذه الرسالة على كل المعلومات الواردة فى رسالة الفتح التى أرسلها سلطان مصر ولكنها مقتضبة مختصرة بعض الشيء، كما فصل في تلك الرسالة هدية الفاتح وكيفية توزيعها على أهالي

[1] - ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، ج٢، ص ٤٥٦.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٣- ٢٣٦ .

[3] - تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، ج٢، ص ٤٥٦.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٣- ٢٣٦ .

الحرمين([1]) ولم يتم تخصيص رسالة خاصة بالهدايا مثل التى أرسلها الفاتح إلى سلطان مصر .

أثناء عودة حاجي محمد الزيتوني إلى أدرنة أرسل شريف مكة المكرمة فى معييته رسوله نجم الدين السيوطي ليحمل رد الشريف وليشكره على الرسالة والهدايا المرسلة من استانبول([2]) وبهذا يكون لدينا ثلاث رسائل فتحية، منهم واحدة لم يتم الحصول عليها وثلاثة ردود موجودة وكائنة بين يدينا، وعليه يكون مجموع الرسائل الموجودة خمس رسائل .

استكتب السلطان العثماني محمد الفاتح معلمه وقاضي جنده ملا گورانى رسالته التى سيرسلها إلى مصر، واختيار الفاتح ملا گورانى لكتابة رسالته أمر يدل على عبقريته، لأن السلطان محمد الفاتح لم يكلف النيشانجي المختص بكتابة مثل هذه الرسائل بكتابة هذه الرسالة بالذات، وكلف قاضي الجند ملا گورانى بكتابة رسالته إلى سلطان مصر لأنه عاش فى مصر وتعلم فيها ولأنه أدري بأحوالها، وأغلب الظن أن ملا گورانى هو من كتب كل الرسائل العربية فى هذا الشأن وهذا واضح من الشبه بين هذه الرسائل سواء من ناحية الأسلوب أم الترتيب، هذا بالإضافة إلى تكرار بعض العبارات بالنص فى تلك الرسائل . كما أنه اختار حاجي محمد الزيتوني الذي كان من أئمة الشافعية في مصر ليحمل رسالته إلى مكة المكرمة .

أ- رسالة الفاتح إلى سلطان المماليك الجراكسة إينال شاه عزيز مصر

كاتب الرسالة وحاملها: أوضح فريدون بك في عنوان هذه الرسالة أن كاتبها هو ملا گورانى ، واوضح في نهاية الرسالة أن حامل الرسالتين والهدايا هو

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٢- ٢٣٣ .

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٦- ٢٣٧ .

جلال الدين القابونى حيث قيل فيها " لما جمع الله له السرورين بحماية البلاد وإحياء فرض الجهاد أرسل رسوله وفخر الأماجد وذخر المحامد أمير جلال الدين القابوني بهدية يسيرة من الغنائم ذكرت مفصلة فى رسالة أخري غير هذه"([1]).

عنوان الرسالة: عُنونت هذه الرسالة في كتاب المنشئات بعنوان " جنتمكان أبو الفتح سلطان محمد خان حضرتلرى دركاهندن استانبول فتحنده ملا گورانى انشاسيله عزيز مصر اينال شاه طرفنه يازلمش اولان نامهء همايونك صورتيدر"([2]) أي صورة الرسالة الهمايونية المرسلة من عاصمة حضرة ساكن الجنان ابوالفتح السلطان محمد خان غازي في فتح استانبول بإنشاء ملا گورانى إلى عزيز مصر اينال شاه .

مقدمة الرسالة: تتكون رسالة الفتح المرسلة من محمد الفاتح إلى إينال شاه عزيز مصر من ستة وثمانيين سطرا، وتبدأ هذه الرسالة بالبسملة يليها قوله تعالي " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ([3]) ثم حمد الكاتب الله وأثنى عليه، وبين أنه استبشر بقدوم الرسائل الخاصة باستقرار إينال شاه على سرير السلطنة بالقاهرة، ثم أثنى عليه بذكر ألقابه وهي " السلطان الوالي العالي العالمي العاملي المؤيدي المظفري الظهيري النصيري العوني الغوثي الغياثي الإمامي الهمامي النظامي" ثم مدحه بقوله إنه السلطان " الذي أشرقت من أفق التوفيق شمس سلطنته، وخفقت راية الإقبال من هبوب نسيم خلافته، ويتطأطأ أعناق الجبابرة نحو سدته السنية، ويتكأكأ إقبال الأكاسرة على عتبته العلية، وبه أضحت عقود الإمامة منتظمة، وأمور السلطنة ملتئمة، ويتفاخر بوصفه المآثر، ويختال بذكره المفاخر

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٨.

[3] - آل عمران، أية ٢٦.

"([1]) ثم يصفه بالملك الأب العطوف فيقول " أعني الملكي الألطفي السلطان الأشرفي الأبوي الأعطفي " ثم دعا له قائلا " ضاعف الله تعالي ملكه وسلطانه، وأفاض على العالمين بره وإحسانه، ولا برح فى دولة لا تنهدم دارها، ونعمة لا تنفصم آثارها، وسعادة لا تصفر أوراقها، وسيادة لا تتغير آفاقها وما انفك بنود الدين يباهر صولته مرفوعة، وأسنة الحوادث فى نحور أعدائه مكسورة وجماجم حساده على رؤس الأسنة منصوبه وتحت الأقدام مخفوضة " ([2])

تهنئة إينال شاه بجلوسه على العرش: وبعد هذا الوصف والمدح والثناء والدعاء قدم محمد الفاتح التهنئة إلى إينال شاه بجلوسه على العرش قائلا " ونقول لما تتابعت عندنا الأخبار التى تشمل على صعود شمس السلطنة على أوج سرير الخلافة آدامه الله وأعلاه وبارك فيه وأبقاه ببركة نبيه المجتبي ورسوله المصطفى عليه وعلى آله من صلة الصلواة أزكاها ؛ مُلئنا بهجة وسرورا وغبطة وحبور وانشدنا بلسان صدق . شعر :

هنيئا لمصر أنت صرت عزيزه بلوغ الأماني وابتغاء المحامد "([3])

سبب إرسال الرسالة: ثم أوضح محمد الفاتح أن سبب كتابة تلك الرسالة أنه يري أن هذا زمن الولاء والمواصلة بين من تكفل بمؤنة إحياء نسك الحج للعباد والعبّاد وبين من تحمل مشاق تجهيز أهل الغزو والجهاد،، كما هو المتوارث من الآباء والأجداد، وأوضح أنه مصمم على تأييد تلك العادة القديمة والتمسك بهذا الحبل المتين والسير على هذا الطريق المستقيم المستبين، ولهذا فتح أبواب المراسلة وقدم أسباب المواصلة واهدي ظرايف التسليمات وأتحف إليه ألطف التحيات ورفع

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٨

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩.

الأدعية الصالحة المستجابة والأثنية المستطابة ([1]). فمحمد الفاتح يوضح أنه اتبع سبيل أبيه السلطان مراد الثاني، وكان قد أرسل إلى مصر عدة رسائل فتح منها رسالة فتح سلانيك ورسالة فتح سمندرة ([2]).

تقديم بشرى الفتح : بدأ في تقديم بشرى الفتح بقوله " وانهينا إلى العلم الكريم محفوفا بما يسره الله تعالي من المطالب البهية والمأرب السنية، أن من أحسن سنن أسلافنا رحمة الله أنهم مجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ونحن على تلك السنة قائمون، وعلى تيك الأمنية دائمون ممثلين بقوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله " ومستمسكين بقوله عليه السلام من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار([3])، فهممنا فى هذا العام عممه الله بالبركة والإنعام معتصمين بحبل ذي الجلال والإكرام، ومتمسكين بفضل الملك العلام إلى أداء فرض الغزاء فى الإسلام مؤتمرين بأمره تعالي " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار "([4]).

وصف المدينة التى فتحها: ثم بين الفاتح بعد ذلك أنه جهز المجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت كفرا، ثم شرع فى وصف القسطنطينية فقال " هي محصنة صعب المرام، شامخة الأركان، راسخة البنيان، مملؤة من المشركين الشجعان - خذلهم الله أينما كانوا- وهم مستكبرون على أهالي الإيمان، متناصرون بالجزائر الغربية مثل رودس وقطلان(٥) ووندیك(٦) وجنويز (١) وغيرهم من

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٢- ٢٠٧

[3] - اصل الحديث قوله عليه الصلاة والسلام " ما اغبرت لله قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار "صحيح البخاري ، باب الجهاد والسير، حديث رقم: ٢٦٥٦.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩.

[5] - قطلان أو كتالونيا : منطقة ذاتية الحكم تقع فى شمال شرق إسبانيا وكانت عاصمتها برشلونه أو برجلونه .

[6] - البندقية .

أهل الشرك والطغيان، وحصن محصن مسدد، مشدد مشيد، منسق النظام ما ظفر به أسلافنا العظام، هؤلاء السلاطين الآساطين الفخام، مع أنهم جاهدوا حق الجهاد، ولم ينالوا بها نيلا، وهي قلعة عظيمة مشتهرة فى ألسنة أهل الأرض باسم القسطنطينية الواقع جانب منها فى البحر وجانب فى البر " ثم يشير إلى أنها المدينة الواردة في الأحاديث النبوية ([2])

الأسلحة المستخدمة في الفتح: ثم يبين الأسلحة التى استخدمها العثمانيون فى الحرب على الجزء البري وهى من البرق والرعد والمنجنيق والنقب والخجوره وغيرها، وكذا الأسلحة المستخدمة فى الجزء البحري وهي الفلك المشحون والجوار المنشأت فى البحر كالأعلام([3]).

بداية الحرب ومدتها: وأوضح فى الرسالة أنه توجه إلى فتح استانبول فى السادس والعشرين من ربيع الأول من شهور سنة سبع وخمسين وثمانمائة [٦ إبريل ١٤٥٣م]، وأن القتال بين الطرفين قد استمر أربعة وخمسين يوما وليلة، لقد تحقق النصر عليهم صبيحة يوم الثلاثاء الموافق العشرين من شهر جمادي الأولي [٢٩ مايو ١٤٥٣م]، ويصف يوم الفتح فيقول " وفى هذا اليوم هجمنا مثل النجوم رجوما لجنود الشيطان، وسخرها الحكم الصديقى، ببركة العدل الفاروقي بالضرب الحديدي لآل عثمان، وقد منّ الله تعالي بالفتح قبل الظهر ... وأول من قتل وقطع رأسه تكفورهم[حاكمهم] اللعين الكنود، فأهلكوا كقوم عاد وثمود، فقتل من قتل، وأسر من به بقى، وأغار خزاينهم، واخرجوا كنوزهم وموفور دفاينهم، فأتى عليهم حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، ولما تحقق النصر للعثمانيين وقطع دابر القوم الظالمين طهروا القوس من القسوس واخرجوا منه الصليب والناقوس وصيروا

[1] - جنوه .

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٠.

معابد عبدة الأصنام مساجد أهل الإسلام، وتشرفت تلك الخطة بشرف السكة والخطبة، ووقع امر الله وبطل ما كانوا يعملون"([1]).

فتح غلطة : بعدما ذكرت الرسالة كل ما يتعلق بفتح القسطنطينية تم الشروع فى شرح كيفية فتح غلطة، وهي طبقا لما ذكر فى الرسالة قلعة افرنجية جنوزية أي تابعة لأهل جنوة تقع فى الشمال، وهي مجاورة للقسطنطينية مملؤة من المشركين اللئام، وقد عقد أهلها الاتفاق مع العثمانيين كي يقفوا على الحياد، ولكن وجد بين القتلى والأسري أناسي من أهل غلطة، وعرف أنهم قد حاربوهم وبدأ أنهم نقضوا ميثاقهم(٢)، فأراد العثمانيون الهجوم عليهم، إلا أنهم جاؤا مبتهلين ومتضرعين، وقالوا :" إن لم ترحمنا لنكونن من الخاسرين " فعفونا عنهم، وملكنا أرضهم وماءهم، وكتبنا فى جريدة الجِزَى أسماءهم، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " ([3]) .

الهدايا: وأوضح الفاتح في نهاية الرسالة أنه لما جمع الله تعالى في قلب عبده سرور حفظ البلاد وإحياء الجهاد وجه رسوله جلال الدين القابوني بهدية يسيرة من الأسارى والغلمان والأقمشة وغيرها، وأوضح أن الهدايا ذكرت في كتاب منفصل، وبين أن الهدايا المرسلة أقل ما يجب تقديمه، والمأمول قبولها ([4]).

---

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٠.

[2] - ولقد أدرجت صورة عهد الأمان الذى أعطاه محمد الفاتح لأهالي غلطة قى كتاب التاريخ العثماني المفصل . انظر :

Mufassal Osmanlı Tarih, C.1, s.463- 464..

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٠.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٠.

الخاتمة: وفى النهاية يطلب إليه أن يدعو له أهل تلك المساكن الطيبة ويتمنى أن ينعم بالمشرفات والسارة المحتوية بسلامة النفس النفيس الطيبة وصحة الذات المطهرة أبقاها الله فى دولته دينية ودنيا، وبه وبسوانح الأخبار من مهمات السلطنة، كما نتشرف بالانتماء إلى ذلك المقر الشريف ونتلطف بالاعتراء([1]) لذلك المجلس اللطيف، ونحن نترقب طيبات أدعية تلك المساكن الطيبة، والله مجيبها ببركة نبيه المجتبي عليه من التحيات أزكاها الحمد لله على نواله والصلوة على محمد وآله، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمأب ."([2]).

لم يذكر في نهاية الرسالة تاريخ كتابتها، ولكننا نعرف تاريخ وصول الرسالة ليد سلطان المماليك الجراكسة مما ذكره ابن تغري بردي فى كتابيه "حوادث الدهور" و" النجوم الزاهرة" حيث يقول " في يوم السبت ثالث عشرين شوال لسنة ٨٥٧هـ -[٢٦ اكتوبر ١٤٥٣م] ورد إلى الديار المصرية قاصد خوندكار(٣) محمد بن مراد بن عثمان متملك برصا (بورصه) وغيرها من بلاد الروم لتهنئة السلطان الملك الأشرف إينال بالسلطنة، وأيضا يبشره بهذا الفتح العظيم الذي فتحه الله على مرسله محمد المذكور . وهو أنه فتح مدينة اسطنبول عنوة وأخذها من الفرنج بعد قتال عظيم فى يوم العشرين من جمادي الأولى بعد أن

[1] - الاعتراء طلب المعروف .

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[3] - خوندكار كتبت خطاء والأصل "خداوندكار" وتعنى حاكم أو آمر، واستخدمت الكلمة كلقب للسلطان العثماني مراد الأول . انظر : شمس الدين سامي، قاموس تركي دار سعادت ١٣١٧، ص٥٧٤.

أقاموا فى محاصرتها يوم الجمعة سادس عشرين ربيع الأول من السنة أعني سنة سبع وخمسين المذكورة إلى أن أخذها في التاريخ المقدم ذكره " (١) .

رسول الفاتح في القاهرة : وصل رسول السلطان محمد الفاتح جلال الدين القابوني ومعه أسيران من عظماء اسطنبول، وقسطنطينية هي كنيسة اسطنبول، وهى قدر مدينة عظيمة – وشق بهم القاهرة وقد زينت القاهرة بسببهم – والله الحمد _ واستمرت الزينة بالقاهرة أياماً والطبلخاناه السلطانية تدق فى كل صباح يوم، وحصل للناس قاطبة السرور الذي لا مزيد عليه . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال ٨٥٧هـ [٢٨ اكتوبر ١٤٥٣م]طلع رسول خوداندكار محمد بن مراد بن عثمان إلى القلعة بعد أن شق القاهرة ثانيا وقد زينت – وكان قد أنزله السلطان بدار زين الدين يحيي الاستادار بعد هروبه، تجاه مدرسته التى عند باب سعادة _ وقد احتفل السلطان لطلوع القاصد المذكور، وعمل الخدمة بالحوش السلطاني من القلعة من غير ان تحضر القضاة، وتمثلوا بين يدي السلطان، وقدموا ما معهم من الهدية التى أرسلها محمد بك المذكور(٢) .

هدايا الفاتح لسلطان مصر : لقد ورد في الرسالة التى حملها جلال الدين القابوني من محمد الفاتح إلى إينال شاه أنه يحمل رسالة أخري ذكرت فيها تفاصيل الهدية المرسلة من الفاتح، ولم يتيسر لنا الحصول على تلك الرسالة، ولكننا تمكنا من معرفة الهدايا التى أرسلها السلطان محمد الفاتح إلى سلطان المماليك من كتاب حوادث الدهور لابن تغري بردي، فبين أنه تم استقبال الوفد وتم عمل مراسم اللقاء

١ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، ج٢، ص ٤٥٢ – ٤٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢، ج ١٦، ص ٤٩ – ٥٠

٢ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، ج٢، ص ٤٥٣، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة، ج ١٦، ص ٥٠ .

معهم فى الحوش السلطاني بالقلعة، وأوضخ الهدايا قائلا: "وتمثلوا بين يدي السلطان، وقدموا ما معهم من الهدية التى أرسلها محمد بك المذكور. وكان على عدة أقفاص حمالين، تسعة أقفاص سمور، وتسعة وشق، وتسعة قاقم، وتسعة سنجاب، وتسعة مخمل مذهب، وتسعة مخمل ملون بلا ذهب، وتسعة شقق أطلس، ومماليك نحو من ثلاثين مملوكا، فقبل السلطان الهدية ورحب به، ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته، وهو يتفرجون فى زينة القاهرة وكانت زينة عظيمة([1]).

احتفالات القاهرة بفتح استانبول : لقد عمت الفرحة القاهرة ببشري فتح القسطنطينية، فلما جاء البشير بهذه البشري زينت القاهرة ودقت الطبلخانة السلطانية، وفى بداية الأمر أي فى الخامس والعشرين من شوال ٨٥٧هـ [٢٨ اكتوبر ١٤٥٣م]وزينت الشوارع الكبرى فى القاهرة ووصف بن تغري بردي مظاهر الزينة كما يلي " واستمرت الزينة أياما كثيرة وتغالت العوام فيها، واستمرت البشائر تدق فى صباح كل يوم أياماً. وفى يوم الخميس ثمان عشرينه نودي بتقوية الزينة، وما كان يحتاج إلى هذه المنادة، فإن العامة تغالوا فى ذلك ولم يبق أحد منهم ممكناً، ولم تكن الزينة فى الشارع الأعظم وحده، بل كانت فى كل شارع من شوارع القاهرة، ووقع فى مدة أيام هذه الزينة مفاسد عظيمة إلى الغاية؛ من فسق وتعاطي منكرات لطول مكث الزينه فى هذه الأيام . وفى يوم السبت غرة ذي القعدة أضاف السلطان القاصد – المذكور- بالحوش من القلعة، ومد له مدة هائلة، وخلع عليه كامليه مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور. وفيه نودي بهدم زينة القاهرة " ([2]) ويفهم من هذا أن القاهرة قد زينت واحتفل أهلها ستة أيام بلياليهن فرحا وسعادة بفتح القسطنطينية، وهي أطول فترة استمر فيها الاحتفال فى مصر .

١ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

٢ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٤ – ٤٥٥ .

مدة إقامة رسول الفاتح في القاهرة: إن جلال الدين القابوني الذي وصل إلى القاهرة في يوم السبت الثالث العشرين من شهر شوال ٨٥٧هـ [٢٦ اكتوبر ١٤٥٣م] (١) قد غادر القاهرة فى يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٨٥٧هـ[٢٣ نوفمبر ١٤٥٣م] (٢) وعلى هذا فقد بقى جلال الدين القابوني فى القاهرة حوالي شهر، وقد أرسل سلطان المماليك ردا إلى محمد الفاتح قبل أن يغادر سفير الفاتح القاهرة ويعود إلى سلطانه .

ب : رد إينال شاه على الرسالة المرفقة مع الهدايا المرسلة من الفاتح

أرسل الفاتح إلى إينال شاه رسالتين واحدة تحمل التهنئة بالجلوس على العرش وبشرى الفاتح وأخرى خاصة بالهدايا ورد إينال شاه عليه برسالتين أولهما هذه الرسالة التى وضعها فريدون بك تحت عنوان الجواب ، ولكن ننفهم من اقتضاب الرسالة وصغر حجمها واحتوائها على الهدايا المرسلة من مصر أنها الرسالة التى كتبها إينال شاه ردا على رسالة الهدايا المرسلة من الفاتح.

فى يوم الخميس عشرين ذي القعدة ٨٥٧هـ [٢٦ نوفمبر ١٤٥٣م] سافر الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني، وكان رسولا إلى بلاد الروم(٣) وهو نفس اليوم الذي أرخت فيه رسالة سلطان الجراكسة التى كتبت ردا على رسالة الفاتح، ونري أن هذه الرسالة التى تتضمن تعريفا بهدايا سلطان المماليك إلى الفاتح قد كتبت ردا على الرسالة الخاصة بالهدايا التى أشار إليها الفاتح فى رسالته والتى لم نعثر عليها.

١ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٢ – ٤٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهر، ج ١٦، ص ٤٩ – ٥٠

٢ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٤ – ٤٥٥ .

٣ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٤ – ٤٥٥ .

بداية الرسالة : وبدأ رد إينال شاه على خطاب الفاتح بالدعاء له بمضاعفة نعمه، وعدد الألقاب التي خاطبه بها السلطان محمد الفاتح فى رسالته ولكن بدلا من لقب " السلطان الوالي العالي العالمي العاملي " استخدم لقب " المقر الشريف العالي المولوي الأولوي الكبيري العالمي العادلي " أما ألقاب " المؤيدي المظفري الظهيري النصيري العوني الغوثي الغياثي الإمامي الهمامي النظامي " الواردة فى رسالة الفاتح قد وردت فى الرد المذكور عليها ولكن بترتيب مختلف حيث ذكرت كما يلي " المؤيدي العضدي الكهفي العوني الغوثي الغياثي الملكي السيدي الهمامي النظامي القوامي المظفري الذخري الممهدي المشيدي المجاهدين المثاغري المرابطي الظهيري الناصري([1])" ثم وصفه إينال شاه فى خطابه بأنه " معز الإسلام والمسلمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجاء الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين ممهد الدولة مشيد الممالك، عماد الملة، حامي ثغور الإسلامية غياث الأمة المحمدية ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين" ثم دعي له بقوله " ولازالت أخبار فتوحاته متواترة، وركايب نصره فى ساحة الوجود سائرة"([2]).

سبب إرسال الرسالة: ثم بين إينال شاه سبب خطابه فقال " أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقر الكريم مهنئة له بهذا الفتح والنصر الذي ادخره الله لأيام سعده... ونهدي إليه سلاما طاب نشره، وثناء يشنف الأسماع ذكره" وبين أنه وقف على المكاتيب التى أرسلها مع رسوله يوسف القابوني الناصري مبينا انشراح الخاطر ببديع منظومها ومنثورها، وأنه عرف منها بما يسره الله تعالي له من فتح القسطنطينية العظمى وفهم ذلك مجملا ومفصلا ومفرعا ومأصلا([3]).

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

التعبير بفرحتة بالفتح: وأوضح إينال شاه أنه حمد الله عز وجل على ما منّ به من هذا الفتح المبين، وهذه النعمة التى تتضمن تثبيت قلوب المتقين على اليقين، واعلاء كلمة الموحدين على الملحدين، وهذه النصرة التى اصبحت بها كلمة الإيمان منتشرة، وجبهة الصادقين مبيضة، وشفاة المسلمين بها ضاحكة مستبشرة، ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها قترة ([1]).

حامل الرسالة : ثم بين أنه أعاد الجواب على كل رسائله المرسلة مع الأشرف برسباي الذي صحب رسول الفاتح يوسف القابوني بعد أن عامله بمزيد الإنعام ووافر الاحترام وبعدما خَلع عليه خُلع التشريف والإكرام، وأرسل بهذه الرسالة فى صحبة ([2]) رسوله الأشرف برسباي ([3]).

التعريف بالهدايا: وبين أنه جهز من الهدايا ما يؤكد أسباب الوداد والمحبة ويوثق عرى الاتحاد والصحبة كما هو دأب السالفين من الحكام والسلاطين، ثم عدَّدَ الهدايا فى نفس الرسالة، وكانت عبارة عن معدات منها سيف وسرج ومسامير من الذهب وبعض الأقمشة المطرزة والعطور وفيلين وحمار وحشى([4]).

الخاتمة: في نهاية الرسالة طلب إينال إلى الفاتح قبول الهدية، وأن يستمر فى الإخبار بالمسرات وما يوفق فيه من المهمات لتيسير الموافاة من الجهتين كما كان بين أجدادهما العظام، وثم دعى له بالنصر فى كل حروبه، وأن تصير كل البلاد بعزماته مؤيدة لدار السلام .وختمت الرسالة بذكر تاريخ كتابتها وهو فى

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[2] - ذكر ابن تغري بردي أن الأشرف برسباي قد توجه إلى بلاد الروم قبل عودة قاصد الفاتح بثلاثة أيام . ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٥٦.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

العشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة [٢٢ نوفمبر ١٤٥٣ م] ([1]).

ج: رد عزيز مصر على رسالة الفتح المرسلة من السلطان محمد الفاتح

لقد عُنونت هذه الرسالة فى كتاب منشئات السلاطين بعنوان "**جنتمكان أبو الفتح سلطان محمد خان غازى حضرتلرى دركاهندن استانبول فتحنه دائر مكەء مكرمه شريفنه كوندرلمك اوزره عزيز مصره كوندرلمش اولان نامەء همايونك صورتيدر**"([2]). أي :" صورة الرسالة الهمايونية الخاصة بفتح استانبول والمرسلة من عاصمة حضرة السلطان أبو الفتح محمد غازي إلى عزيز مصر ليرسلها إلى شريف مكة المكرمة" ويفهم من هذه العنوان أن هذه الرسالة قد أرسلت من أدرنه عاصمة الدولة العثمانية فى ذاك الوقت إلى عزيز مصر فى القاهرة لكي يرسل بشارة فتح استانبول إلى شريف مكة المكرمة، ولكننا نري أن فريدون بك أو من أعاد طباعة الكتاب قد أخطأ فى وضع هذا العنوان وذلك لأسباب عدة :

١- إن ما تتضمنه الرسالة من معلومات يدلل على أنها مرسلة من سلطان المماليك إينال شاه إلى محمد الفاتح ردا على الفتح نامه وهذا ما سنذكره بالتفصيل خلال ذكر محتوياتها.

٢- هذه الرسالة تتكون من ستة وتسعين سطرا، بها رد على كل ما ذكر فى رسالة الفتح التى يبلغ عدد سطورها ستة وثمانين سطرا.

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

٣- ذكر فى نهاية هذه الرسالة التاريخ الذي أرخت فيه، وكذلك فى الرسالة الأخري المرسلة من سلطان المماليك، أما الرسائل المرسلة من الفاتح فلم يذكر بها تاريخ كتابتها .

٤- قد ورد فى الرسالتين المرسلتين من مصر كلمة " قاصد " بمعنى رسول أو سفير والتى استخدمها ابن تغري بردي مؤرخ الدولة المملوكية فى هذا العصر، ولم ترد تلك الكلمة بهذا المعنى فى أي من الرسائل المرسلة من الفاتح أو الشريف .

٥- ذكر فى هذه الرسالة أنها قد أرسلت مع بروندق الأشرفي الذى صحب جلال الدين القابوني رسول الفاتح في أثناء عودته إلى استانبول([1]).

٦- أوضح ابن تغري بردي أن جلال الدين القابونى قد رجع إلى السلطان محمد الفاتح فى الثالث والعشرين من ذي القعدة ٨٥٧هـ [٢٤ نوفمبر ١٤٥٣م] ([2])، وقد أرخت فى آواخر ذي القعدة ٨٥٧هـ [١ ديسمبر ١٤٥٣م] ([3]) وكل هذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها قد أرسلت من سلطان المماليك إلى السلطان محمد الفاتح.

مقدمة الرسالة : وتبدأ تلك الرسالة الطويلة بألقاب التفخيم والتعظيم التى تم ذكرها في الرسالة السالفة، ثم مدح سلطان المماليك إينال شاه لسلطان العثمانيين محمد الفاتح ووصفه بأنه معز الإسلام والمسلمين ناصر الغزاة ذخر([4]) المجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين، زعيم جيوش الموحدين، ممهد الدولة، مشيد الممالك،

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٣- ٢٣٦ .

[2] - ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، ج٢، ص ٤٥٦.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٣- ٢٣٦ .

[4] - ذخر المجاهدين أي المختار من المجاهدين.

حامي الثغور الإسلامية، غياث الملة المحمدية، ملك الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين([1]).

التعبير عن فرحته بالفتح : عبر عن فرحته بالفتح موضحا أن كل موحد ابتهل بهذا الفتح وتلا الجميع سورة الفتح داعين له بقوله تعالي **"وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا"** ([2]) ثم دعا له بأن تظل وجوه النصر تري فى مرآة صفاحه، وثمرات النضر تجتنى من أغصان رماحة، وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام، وبلاده الإسلامية محروسة بالجناب المحمدي عليه السلام، وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة، وألسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرحاق دمائهم مبلوله، وهمم أبطاله منتظمة فى نصرة دين الله كالعقد النظيم "" **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** " ([3])([4]).

تقديم الشكر على رسالة الفتح : شكر إينال الفاتح على تلك البشارة البليغة، وهنأه على هذا الفتح العظيم بأسلوب منثور قائلا : "أصدرنا هذه المقاوضة إلى المقر الكريم، معربة عما نحن منطوون عليه من التهاني بهذا الفتح الذي وضح على جبين الصباح بشره، ورحج على ميزان الكواكب قدره " كما خص الفاتح بالسلام والتحية حين قال: " ونخصه بسلام يتأرج عرفا، ويتبلج وصفا، ويكاد يمازج النسيم لطفا وثناء" ([5])

وصف رسالة الفاتح: ، وصف إينال رسالة الفاتح معربا عن اعجابه بأسلوبها فيقول: " لقد ورد كتابه الكريم، وخطابه الذي ازري بالدر النظيم على يد المجلس السامي **يوسف القابوني الناصري** أحسن الله وفادته فأكرمناه حين قابلناه،

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

[2] - سورة الفتح ، آية :٣.

[3] - سورة آل عمران، آية ١٢٦.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

[5] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

ورفعنا محله لما نناولنا إياه، فشممنا مخايل النصر من سطوره، ونزهنا النواظر فى رياض منظومه ومنثوره، وتلمحنا من خطه وخطابه ما هو أزهي من زهر الحمايل عند مر النسيم، ووجدناه مشتملا على أنواع البراعة محا وشي الرقيم، محتويا على بديع الألفاظ التى سحبت ذيل البلاغة على سحبان([1]) الزمن القديم"([2]).

وصف شجاعة الفاتح وجنوده: وصف إينال الجند العثمانية مطلقا عليهم اسم الجند المحمدية وهو اسم اطلقه العثمانيون على جنودهم وما زال مستخدما في اللغة التركية حتى اليوم حيت يطلقون عليهم كلمة " Mehmetcik" وهى نسبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويصف مشاة الجيش بأنهم كالاصفاد والفرسان كالاوتاد، وأرسل إليها في البحر جواري كالأعلام ورماها بفرسان من البر وهجم عليها بكل مطيع وبَر، ثم شبه استانبول بالبكر التى خطبها الجميع فأبت وتمنعت، ولكن لما أمهرها الفاتح الرؤوس ا ضجت إلى الإحصان بعد النشوز، وعلمت أن الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فامكنت زمامها من يد خاطبها، وامتعته على رغم انف مراقبها، وانشد لسان الحال، شعر :

خطبتها بكرا وما أمهرتها الا قُنِيّ([3]) وقواضبا وفوارسا ([4])

ويشير إينال بعد ذلك إلى دور السلطان مراد الثاني في هذا الفتح نظرا لعلاقاته القوية مع الدولة المملوكية ونظم فيه ما يأتي :

الله أكبر ما جنيت ثمارها الا وكان أبوك قبلك غارسا ([1])

---

[1] - إشارة إلى سحبان بن زفر بن ألياس الوائلي (ت. ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م)، هو خطيب يضرب به المثل في البيان يقال (أخطب من سحبان) و (وأفصح من سحبان) . اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الإسلام. وكان إذا خطب يسيل عرقا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ. أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية. وله شعر قليل، وأخبار. الزركلي ، الأعلام ، درا العلم للملايين ، ٢٠٠٢، ج ٣ ، ص ٧٩.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

[3] - قُنِيّ: جمع قناة وهو الرمح الأجوف.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

ثم يصف إينال شاه اصرار الجيش على الفتح وبسالة الفاتح فيقول "قابل العدو بصدره، وقابل حتى أفنى جديد بيضه وسمره، وهبت نسمات النصر على جيوشه، فقيل يا خيل الله اركبي، وباید النصر اكتبي، وقام الحرب على ساق، واضحى كل من الأعداء إلى حتفه يساق، وهجرت سيوفهم الأغماد، وأقسمت أنها لا تقر إلا فى الرؤوس، والأسنة أسرعت وآلت أنها لا تروي ظماؤها إلا من دماء النفوس، والسهام قد التزمت أنها لا تلج إلا في النحور، ولا تغوص جنايا القسي بخبايا الأضلع الا لترفعها لا تحل إلا فى الصدور، والدروع قد لزمت الأبطال قائلة لا نفارق الأبدان حتى تتلي سورة الفتح المبين، والجياد حرمت وطئ الأرض، وقالت لفرسانها لا نطاء إلا جثة القتلى ورؤوس الملحدين، فعند ذلك اثبت سيفه الناصر الحق لانه القاضي فى ذلك المجال، ونفدت سهامه لأجل تصميمه، فلم تمهل حتي اخذت دين الآجال وهو حال شعر

الله أكبر هذا النصر والظفر هذا هو الفتح لان [لا أن] يزعم البشر([٢])

وصف البيزانطيين : أطلق إينال على البيزانطيين اسم بنى الأصفر ويصف هزيمتهم موضحا أن العثمانيين قد زلزلوا عدوهم، ونكسوا أعلامهم، ، فطهر الله منهم تلك الديار وسلموا عندما أيقنوا بالدمار، وصارت بحمد الله نجوم الضلال آفلة، ومواطن الكفر بالإسلام آهلة، وعن الأذان يعرب، حيث كان الناقوس يضرب، وأصوات حماتكم الإسلامية بالتكبير والتوحيد بها عالية، فقد فهمنا ذلك وحمدنا الله تعالى.

حمد الله على هذا النصر : قدم إينال شاه الشكر لله على هذا النصر والفتح مبشرا الفاتحين بالأجر العظيم مستشهدا بآيات وأحاديث عن فضل الجهاد وأجره

[١] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

[٢] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥.

وثوابه في الدنيا فيقول " وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذي جعل جيوش الإسلام حيث سلكت ملكت، وأين جنحت من بلاد أسرت وفتحت، فلله الحمد الذي أيدكم بنصره، وجعل مهابة جيوشكم فى قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو وحصره، وظفركم على حزب المشركين، الذين زعزع هيبتكم دانيهم وقاصيهم، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم([1])، وسدد سهم رأيكم الذي دل على هلاك العدى سرعة نفاذه، ووعدكم مغانم كثيرة تأخدونها فعجل لكم هذه([2])، وحكمكم فى بلاد العدى لتنشروا بها المهابة وتطؤها،" وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضا لم تطؤها "([3])، ولقد أيدتم هذا الدين المحمدي الذي وضح به طريق النجاة واستنار، وفزتم بقوله عليه الصلوة والسلام " ما اغبرت لله قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار "([4]) وقوله صلى الله عليه وسلم " إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما([5])، فله الحمد على ما أنعم به عليكم من الغزوات التى سطرت أجورها فى صحايفكم وصحايف أسلافكم والكرام، وصار خبرها غرة فى جبهة الدهر، وحسنة فى صحيفة الأيام"

إينال شاه يخبر الفاتح بما فعله عند وصول بشرى الفتح : أوضح سلطان المماليك إينال شاه أنه لما وصلت إليه بشرى الفتح والنصر أمر بإعلان البشائر وإظهار الزينة والسرور بالممالك الشريفة والمقصود بها القاهرة وقد فرح واستبشر

[1] - هذه إشارة إلى قوله تعالى " وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا "(سورة الأحزاب ، آية: ٢٦).

[2] - هذه إشارة إلى قوله تعالى |" وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (سورة الفتح ، آية: ٢٠)

[3] - إشارة إلى قوله تعالى : " وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا "(سورة الفتح ، آية :٢٧)

[4] - صحيح البخاري ، باب الجهاد والسير، حديث رقم: ٢٦٥٦.

[5] - صحيح البخاري ، حديث رقم: ٧٤٢٣.

المسلمون بهذه النعمة، ودعوا له بصالح الدعاء فيقول " فعند ذلك أمرنا بإعلان البشاير وإظهار الزينة والسرور بممالكنا الشريفة لما منّ الله به من هذه النصرة، وأمددناكم بصالح الدعاء مع تضاعف المسرة، وأضحى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التى تسربل كل واحد منها بأبهى لباس، وتلا كل منهم " ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ " ([1]) .

التأكيد على توصيل رسالته إلى مكة: ثم بين سلطان المماليك إينال شاه أنه جهز أمين الفاتح ومفخر الحجاج والزوار زين الدين حاجي محمد الزيتونى([2]) ويسر له أمره، وأرسله بالذهب الفلوري المسكوك بالسكة السلطانية الجديدة إلى شريف مكة المكرمة وفقراء الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية، والمرجو ان يصل المقصود وبالخير سيعود إن شاء الله ([3]).

شكره على التهنئة بالجلوس على العرش: كانت التهنئة بالجلوس على العرش أول شئ سطره الفاتح في رسالته ولكن إينال شاه صدر رسالته بالتهنئة بفتح القسطنطينية ومدح هذه النصر وحمد الله على هذه النعمة وجعل شكر الفاتح على التهنئة بجلوسه على العرش في ذيل رسالته؛ وهذا يظهر أن سعادته بالفتح غلبت سعادته بتهنئته الفاتح له بالجلوس، ولقد بين سلطان المماليك إينال شاه انه قد تحققت له محبة السلطان محمد الفاتح من تهنئته بجلوسه علي سرير الملك الشريف وإذعان جميع الرعايا لأمره المنيف، وبهذا تم تأكيد أسباب الود وتصحيح علل

[1] - سورة يوسف ، آيه: ٣٨.؛ فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥.

[2] - الزيتوني بدر الدَّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الزيتوني العوفى أُحْدُ نواب الشَّافِعِيَّة بِمصْر ولد سنة ٨٣١ - ١٤٢٧ وَتوفى فِي رَجَب من سنة ٩٢٤ – ١٥١٨ م ولَهُ ارجوزة فِي الْفِقْه وديوَان شعره. انظر : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول ١٩٥١، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥.

الاتحاد، وأنه قد فهم أن المحبة من هذا البيت الكريم أي البيت العثماني مستديمة والمودة بينهم مستقيمة ([1]).

الشكر على الهدايا: وفى نهاية الرسالة يشكر سلطان مصر الفاتح على الهدايا التى أرسلها قائلا" وأما الهدية التي شرفنا بإرسالها فقد وصلت، وبالإقبال قوبلت، وشكرنا صدق محبة مهديها، واثنينا على جميل موالاته التى لم تزل في ملئ ملكنا نبديها " .

ذكر كيفية معاملة رسول الفاتح و اسم حامل رسالته إليه: وبين أنه أرسل أيضا مع رسول الفاتح جلال الدين القابوني رسولا من المقربين إليه وهو **بروندق الأشرفي**، ويحمل هذا الرسول إلى الفاتح كتابه الشريف وخطابه المنيف، وكذلك بعض الهدايا والتحف التي تؤكد أسباب الوداد وجميل المصافات والاتحاد، ويحمل أيضا السلام للمقر الكريم بما يبتسم ثغر الدهر عند أدائه، ويسفر وجه البشر عن إبدائه([2]).

خاتمة الرسالة وفى نهاية الرسالة يوضح التاريخ الذي كتبت فيه الرسالة فيقول " كتب فى أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة للهجرة النبوية على واضعها السلام[٣٠ نوفمبر ١٤٥٣ م] ([3]).

د : رسالة الفتح التى أمر السلطان محمد الفاتح بإرسالها إلى شريف مكة

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦.

عنوان الرسالة: عنونت هذه الرسالة في منشئات السلاطين بعنوان " شريف مكهء مكرمه يه ارسلال (ارسال) بيوريلان قسطنطينية فتحنامهء همايوننك صورتيدر "([1]). أي صورة الرسالة الهمايونية لفتح القسطنطينية التى أمر بارسالها إلى شريف مكة المكرمة .

محتوى الرسالة: تتكون هذه الرسالة من سبعة وأربعين سطرا، تبدأ رسالة السلطان محمد الفاتح إلى شريف مكة بحمد الله والسلام على عباده الذين اصطفى، ثم الدعاء بدوام العلو ، وذكر ألقابه معظما وموقرا له بقوله " المقر الكريم السيدي السندي الشريفي الأشرفي الاكرمي الاعلمي الأروعي النظامي الإمامي الهمامي الأوحدي والأمجدي العالمي العاملي الأعظمي الأولوي الأعلوي العلوي والمشيدي المؤيدي النصيري الظهيري الظاهري الطاهري"، ثم مدحه بقوله " معلي قواعد الموسم والحرمين، حامي مشاهد البقاع الشريفة والمروتين، مؤسس مراسم العظمة والجلال، مؤكد معاقد المقاصد والآمال، مطلع لوامع العز والتمكين، مظهر مآثر الملك والدين، فلذة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين وولي المؤمنين، خلاصة أولاد شفيع المذنبين وهو السيد الشريف، والقرم المنيف (٢) سلطان بيت الله تعالي شرفه الله وحواليه، علاء الدولة والملة والدين السيد الأحسنى العجلاني الحسنى "([3]) ثم دعا له قائلا " زاد الله تعالي سعادته، وآدام سيادته، ولا خلا فى دولة لا ينهدم دارها، ونعمة لا ينفصم آثارها، ولازالت أسباب مودته

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

[2] - القَرْمُ من الرجال : السيِّدُ المُعَظَّم والجمع : قرومٌ، والمنيف تعنى العالي المشرف ومن ذلك ما ورد في حديث عائشة تصف أَباها، رضي اللّه عنهما: ذاك طَوْد منيف أَي عالٍ مُشْرِف. ومنه وامرأَة مُنيفة ونياف: تامّة الطول والحُسن. انظر : لسان العرب، مادة نوف.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

ومحبته مؤكدة، وعقود موالاته وهمته منتظمة منضدة، مدي الدهور الأعوام بحرمة سيد الأولين والأخرين" ([1])

التبشير بالفتح : ثم انتقل بعد ذلك مباشرة إلى الهدف من هذا الرسالة وهو التبشير بالفتح فقال" فقد أرسلنا هذا الكتاب مبشرا مما رزق الله لنا فى هذه السنة من الفتوح التى لا عين رأت ولا اذن سمعت، وهي تسخير البلدة المشهورة بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين وفى مقابلها مدينة أخري موسومة بغلطة، وفى جانبها الشرقي بلدة أخري معلمة باسكدار"، ثم وصف للقسطنطينية بأنها سلطان البلاد وغلطة واسكدار يقفان عن جانبيها يمينا وشمالا كخادمين فى طرفي السلطان ([2]).

سبب الحرب وأحداثها: ثم بين سبب الحرب معهم ورفضهم دفع الجزية الشرعية، واستمرارهم فى القتال قرابة شهرين، وهنا نلحظ فرقا بين ما ورد في رسالته لعزيز مصر هذه الرسالة ففي الرسالة الأولى أوضح هذا الأمر بتفصيل أكبر، ثم أشار إلى الاسلحة التى استخدمها فى الحرب كالمنجنيق والعرادة، ثم بين ما فعله بعدما تحقق له النصر فيقول " فقطع فى الأول رأس الملاعين، أعنى التكفور(٣) اللعين، وأُلحق بجهنم مع سائر المقتولين من المشركين، فخربوا دورهم وكسروا صلبانهم، وأغاروا على خزاينهم وأموالهم، واسروا ذريتهم وصبيانهم، وجعلوا معابدهم القسيسية مساجد الأمة المحمدية، وجمع الملة الأحمدية، وطهر تلك المواضع عن الارجاس الرهبانية والأنجاس النصرانية " **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** "([4]). وأما بقية السيوف فعفونا عنهم، وقطعنا عليهم

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

[3] - تكفور : تعنى الحاكم أو الأمير، وكانت تستخدم كلقب على بعض الأمراء الذين كانوا يحكمون فى الأناضول والروميللي . انظر شمس الدين سامي، ص ٤٣٠.

[4] - سورة الأنعام، آية : ٤٥ .

الجزية السنوية سعيا لبيت المال " ([1])

سبب تأخر إرسال البشارة واسم حامل الرسالة: ثم يشير الفاتح فى هذه الرسالة إلى سبب تأخر إرسال البشارة، موضحا أن السبب وهو انتظار سك الدنانير باسم السلطان الفاتح فيقول " فلما تشرف منابر الخطب بشرف ألقابنا العلية الباهرة، وتزيين وجوه الدارهم والدنانير المسكوكة بزينة أسمائنا الجليلة الظاهرة جهزنا إلى خدمتكم الشريفة فخر المقربين، وزين حجاج الحرمين خواجه ([2]) **حاجي محمد الزيتونى** حفظه الله فى الذهاب والإياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير والصواب لتبليغ الرسالة، وترسيل البشارة "، وبعدما أوضح اسم رسوله دعا بأن يحفظه الله فى الذهاب والإياب ويرزقه الوصول والعودة بالخير والصواب([3]).

الهدف من الرسالة: ثم أوضح الفاتح فى رسالته أن المأمول هذه من الرسالة " أن يسعد الشريف بقدوم هده المسرة العظمى والموهبة الكبري مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات المهتدين والزهاد والعباد الصالحين والمشايخ الأمجاد الواصلين والأئمة الأخيار المتقين والصغار والكبار أجمعين المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام، التى كعروة الوثقى لا انفصام، والمشرفين بزمزم والمقام، والمعتكفين فى قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام، وبعدما عبر عن أمله فى إسعاد أهالي الحرمين طلب إليهم الدعاء له بدوام دولته ونصره"([4]) .

الهدايا المرسلة إلى الحرمين: ثم تناول الفاتح الهدية التي أرسلها وهي عبارة عن تسعة آلاف من الذهب الفلوري الخالص التام الوزن والعيار والماخوذة من غنائم الحرب، وبين طريقة توزيعها كما يلي: ألفان منها هدية خاصة للشريف،

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣.

[2] - خواجه : كلمة فارسية الأصل وتعنى السيد أو المدرس والمعلم أو الشيخ المعمم . شمس الدين سامي، المرجع السابق، ص ٥٩٠.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣.

[4] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣.

وألفان للسادات والنقباء، وألف للخدم المخصوصة بالحرمين، وأربعة آلاف للمتمكنين المحتاجين فى مكة المعظمة والمدينة المنورة([1]).

خاتمة الرسالة: وفى نهاية يطلب الفاتح إلى شريف مكة تقسيم هذا الذهب بين المذكورين بمقتضى احتياجهم وفقرهم، وإخباره بكيفية حدوث هذا وتحصيل دائم الدعاء من هؤلاء الفقراء باللطف الإحسان،وختام الرسالة يدعو الفاتح لشريف مكة بدوام السعادة الأبدية والسيادة السرمدية ([2]).

هـ : صورة الرد المرسل من شريف مكة إلى السلطان محمد الفاتح

عنوان الرسالة: عنونت هذه الرسالة في منشئات السلاطين بعنوان " شريف مشار إليه طرفندن هدايای متبركه ايله برابر كلمش اولان جوابنامه نك صورتيدر" ([3])أي صورة الرد الوارد مع لهداية المباركة المرسلة من قبل الشريف المشار إليه .

فاتحة الرسالة والألقاب : تتكون رسالة شريف مكة التى كتبها ردا على رسالة الفاتح من واحد وخمسين سطرا، ولقد بدأت هذه الرسالة بكلمة " يقبل الأرض فى حضرة السلطاني" ثم ذكر ألقاب السلطان ثم أثنى عليه بقول " معين الإسلام والمسلمين سلطان الملوك والسلاطين، نور عيون المجاهدين، نور حدايق لطف الله فى الأراضين، قهرمان الماء والطين، محيي الشريعة المحمدية، منجي الملة الأحمدية، الفائق على أسلافة فى الغزو والجهاد المباهي بين أقرانه بالفتوح وتسخير البلاد، الذي يُفتخر بعهده الشريف السوابق واللواحق من آل عثمان " ثم دعا له بقول" لا زالت أولياؤه منصورة، وأعداؤه مقهورة، وحصون الخصماء

[1] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣.

[2] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣.

[3] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦.

بصلابته مفتوحة، ونواحي بلدانهم وديارهم بمهابته مضبوطة، وما برحت نواصي أحبا دولته فى غداة غزواته مبيضة، وشفاههم ضاحكة مستبشرة، ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة، وعساكره المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب، وأعلام نصره منتشرة بكتائب " **نَصْرٌ** مِنَ **اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ** "(١) " ما قرت الغبراء قرارها، ودارت الخضراء أدوارها "(٢).

طريقة استقبال الرسالة والرسول: ثم أوضح الشريف أن الرسالة والبشارة قد وردت إليه على يد خواجه حاجي محمد الزيتونى فاستقبلها بالتعظيم وقابلها بالإجلال والتكريم وفتحها بكمال الأدب وقرأها مقابل الكعبة المعظمة بين أهل الحجاز وأبناء والعرب، ففهم منها فتح القسطنطينية وتحقق البشري النبوية، فحمد الله علي ذلك وفرح أهل الحجاز بها نهاية المسرة، وابتهجوا من الهدايا ومن إحياء مراسم العثمانيين الأوائل (٣)،

توزيع الهدية: وأوضح الشريف أنه وزع التسعة آلاف حسب ما ورد فى الرسالة، وزاد فرحهم لأنها كانت من الذهب ولم تكن من الفضة، حيث امتلأت أكف الفقراء من الذهب، ودعوا للفاتح بالجنة(٤) . وطلب الشريف إلى السلطان محمد الفاتح أن يعلم بأحوال فقراء هذه الديار بالأصل والفرع، وأن يزيد لطفه على الضعفاء الساكنين فى واد غير ذي زرع (٥).

اسم حامل رسالته وهداياه: ثم بين الشريف أنه أرسل مع "الحاجي زين الدين المشار إليه قدوة الصلحاء والمتورعين مولانا **"نجم الدين السيوطي"** إلى السلطان محمد الفاتح ليقوم مقامه فى تقبيل سدته الثنية ولثم عتبته العلية "، ثم ذكر

---

١ - سورة الصف، آية: ١٣.

٢ - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦.

٣ - المقصود بمراسم العثمانيين الأوائل هو إرسال الهدايا

٤ - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٧.

٥ - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٧.

بعد ذلك الهدايا التى أرسلها إلى الفاتح وهي كما على النحو الآتي " برقع باب المكة المعظمة، والأقمشة الهندية المتنوعة سبع طقوزات وعشرون شاشاة مبللة بماء زمزم، ورأس رمكة معلمة طائرة فى الهواء كحمامة الحرم (١)"

الخاتمة : وفى النهاية يرجو الشريف من الفاتح قبول الهدية وقبول عذره، ثم يدعو له بدوام دولته القاهرة وسلطنته الباهرة إلي يوم الدين (٢).

التواريخ التى وردت فى تلك الرسائل

لقد وردت فى رسائل الفتح هذه أربعة تواريخ

الأول : ورد فى رسالة الفاتح إلى سلطان مصر عندما كان يتناول الفاتح أحداث فتح القسطنطينية وفيها بين أنه قد بدأ الحصار فى السادس والعشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة[٦ إبريل ١٤٥٣م] . أما التاريخ الثاني فقد ورد فى نفس الرسالة وهو تاريخ انتهاء الحصار وتحقق الفتح وكان هذا في يوم الثلاثاء العشرين من شهر جمادي الأولي [٢٩ مايو ١٤٥٣م]، إن الفارق بين التاريخيين يبلغ ثلاثة وخمسين يوما وهى مدة حصار الفاتح لأسوار القسطنطينية .

ومن الجدير بالذكر أن الرسائل التى كتبها الفاتح إلى سلطان مصر لم يذكر فيها تاريخ كتابتها، ولكن الرسالتين اللتين أرسلهما سلطان المماليك إلى محمد الفاتح قد أرخت الأولى منها فى " العشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة [٢٢ نوفمبر ١٤٥٣ م] " والرسالة الثانية فى "أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة للهجرة النبوية على واضعها السلام [٢٥ نوفمبر ١٤٥٣ م]" وطبقا لما أوضحناه سالفا أنه طبقا لما ذكره ابن تغري

[١] - الرمكة طبقا لما ورد فى القاموس المحيط: الفرسُ، والبِرْذَوْنَةُ تُتَّخَذُ للنَّسْلِ.

[٢] - فريدون بك، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٧.

بردي يكون الفارق الزمني بين الرسالتين ثلاثة أيام فقط، ولكن يفهم مما ذكر فى كل منهما أن حاملا الرسالتين قد صحب رسول الفاتح جلال الدين القابوني في أثناء عودته، ولما كان الفارق الزمنى بينهما ليس كبيرا يحتمل أنهما قد وصلتا إلى السلطان محمد الفاتح فى يوم واحد.

ويمكننا أن نستنتج بضعة أشياء أولها أن الفاتح لم يرسل رسائل الفتح هذه بمجرد ما تحقق له النصر والفتح، ولا بعد عودته إلى عاصمته أدرنة فى ١٥ يونيو ١٤٥٣م (١)،بل بعد الفتح بستة أشهر وهذه فترة قد تعد طويلة إلى حد ما، ولا نعرف سبب التأخر فى إرسال رسائل الفتح كل هذه الفترة .

أسلوب رسائل الفتح :

من خلال ما ورد فى رسائل الفتح السابقة يمكننا القول إن رسائل الفتح المرسلة من محمد الفاتح إلى مصر ومكة قد بدأت بالبسملة ثم الحمد، أم الرد عليها فيبدأ بالدعاء للمرسل إليه إذا كان المرسل ندا له وهذا يكون على سبيل المثال بعبارة " ضاعف الله نعم المقر الشريف " أو " أعز الله أنصار المقر الكريم"، أما إذا كان المرسل دون المرسل إليه تبدأ الرسالة بإعلان التقدير والاحترام له ومن هذا ما ورد فى بداية رسالة شريف مكة " يقبل الأرض فى حضرة السلطاني.

بعد كلمات الافتتاح الكائنة فى بداية رسائل الفتح يتم الثناء على المرسل إليه بذكر جميل ألقابه، ثم مدحه بذكر جميل أوصافه، ثم الدعاء له بملازمة السعادة بابه، ثم يتطرق بعد ذلك إلى ذكر سبب كتابة تلك الرسالة وهو التبشير بالفتح مبينا أن مهمة السلطان هي دفع المظالم وإقرار نظام العالم، وأن حرب السلطان كانت لصد البغي والطغيان، فيذكر تاريخ بداية الحرب ونهايتها، وأهوالها وأحداثها وصفاتها، ويوضح كثرة جند العدو وقوته، ووضعه فى الحرب وشجاعته ثم يبين الأسلحة التى

[1] -Resimli, Haritalı Mufassal Osmanlı Tarih, İstanbul 1957, C.1, s.456.

استخدمها وما حدث يوم الفتح من وتوفيق المولى عز جاهه ونصره للسلطان وأتباعه، وهزيمة العدو وجنوده، تفريق جمعه وحشوده، وشكره لله على نعمته، وضم أرض العدو إلى دولته، ثم يذكر اسم حامل رسالته وقربه منه ومكانته، ثم يذكره الهداية المرسلة من قبله مجملة أو مفصلة، ويرجو قبولها والسعادة بها، ثم يطلب الدعاء له بالتوفيق، ويختم رسالته بالصلاة والسلام خاتم المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

أما الرد على رسائل الفتح فيبدأ بإظهار التقدير والاحترام أو إعلان التبعية له بين الأنام، ثم يثنى على المرسل إليه بذكر جميل ألقابه، ويمدحه بجميل أوصافه، ثم يدعو له بملازمة السعادة بابه، ثم يتطرق بعد ذلك إلى ذكر سبب كتابة تلك الرسالة هو التهنئة بهذا الفتح المبين، ويبين أنه تلقى البشارة وتسلم الرسالة من رسول السلطان، وأنه عامله بكل احترام وامتنان، وان هديته وقعت موقع القبول، وفى النهاية يوضح اسم حامل رسالته والهدايا التى أرسلها إلى السلطان راجيا قبول هديته داعيا له بدوام دولته .

ونلحظ من الرسائل التى عرضناها أن الرد فى الأغلب الأعم يكون على قدر الرسالة، والرسالة والرد يتعادلان تقريبا الحجم، ويستويان في الإطناب أو الإسهاب، كما يستويان فى الاستشهاد بالآيات القرآنية، ففي كل من رسالة الفاتح وإينال توجد أربع آيات من القرآن، ليس هذا فحسب بل يستويان فى عدد الأشعار الواردة فى كل منهما، ففي كل من رسالة الفاتح وإينال ثلاثة أشعار اثنان منقولان وشعر دبج فى هذه المناسبة .

الخاتمة

لقد توصلت تلك الدراسة إلى عدة نتائج وهي كما يلي :

رغم أن رسائل الفتح تعد مصدرا من أهم مصادر التاريخ العثماني لم تنل حقها من الدراسة، والمكتبة العربية فى حاجة ماسة إلى ترجمة رسائل الفتح العثمانية بقسميها. أما كتب المنشئات التى تضم العديد من الوثائق ما زالت خارج نطاق البحث تماما ولم تلمسها يد لامس. ويأتي في مقدمتها كتاب "منشئات السلاطين" لفريدون أحمد بك الذي ضم عددا كبيرا من مراسلات ووثائق ومعاهدات الدولة العثمانية، ولا جرم أنه عمل لا يستغنى عنه أي باحث فى التاريخ العثماني.

كان فتح القسطنطينية نقطة تحول فى تاريخ العالم، وقد خط العثمانيون العديد من رسائل الفتح للتبشير بالنصر ولتسجيل أحدث الحرب .

أرسل السلطان محمد الفاتح رسائل التبشير بفتح استانبول إلى إيران والولايات العثمانية، كما أرسل ثلاث رسائل إلى الأراضي العربية اثنتان منها إلى إينال شاه حاكم المماليك وواحدة إلى الحسن العجلاني شريف مكة ، وتلقي عليها ثلاثة ردود مماثلة لها فى الحجم والأسلوب. بما في ذلك عدد الآيات القرآنية والأبيات الشعرية المنقولة والمنظومة.

وضعت "رسالة إينال شاه إلى السلطان محمد الفاتح" فى كتاب منشئات السلاطين خطأً تحت عنوان " الرسالة الهمايونية الخاصة بفتح استانبول والمرسلة من ابو الفتح السلطان محمد غازي إلى عزيز مصر ليرسلها إلى مكة المكرمة " وقد اكتشفنا هذا الخطأ عند مطالعة الرسالة وتحليل نصها .

إن إصرار الفاتح على إرسال رسالة تبشير بالفتح إلى مصر ومكة المكرمة أمر يظهر الصلة الوثيقة بين مصر والدولة العثمانية في هذه المرحلة وسير الفاتح

على خطى أبيه وأجداده، كما أنه يظهر مدي اهتمام العثمانيين بالحرمين، وسعيهم الدءوب لزيادة نفوذهم فيها، وأسلوبها يعكس مدي توقيرهم للمصريين وأهالى الحرمين .

تبدأ رسائل الفتح بالبسملة والحمد وتنتهي بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم آله، أما الرد عليها فيبدأ بالتحية أوإعلان التبعية وينتهي بالدعاء للمرسل إليه.

تعكس هذه الرسائل مدي الاتصال والترابط بين الدولتين المملوكية والعثمانية، كما أن صداها يعكس مدى الترابط المعنوى بين المسلمين في مختلف الدول في ذاك العصر، وليس أدل على ذلك من مغالاة المصريين في الاحتفال الذي دام ستة أيام بلياليهن زينت فيها جميع الشوارع وقرعت الطبول ابتهاجا بفتح القسطنيطنية، كما أن فرحة أهالي الحرمين بفتح القسطنطينية كان عبارة عن احتفال تليت فيه رسالة الفاتح أمام الكعبة ووزعت على الفقراء والمجاورين العطايا السخية والقطع الذهبية.

تلقي هذا الرسائل الضوء على طبيعة المكاتبات الدبلوماسية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر حيث تساوت الرسائل والردود في العدد فقد أرسل الفاتح رسالتين ورد عليه إينال شاه برسالتين، كما أن الرسائل والردود تتقارب في الحجم والأسلوب بل وتتساوي في عدد الأستشهادات من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية وفي عدد الأشعار المنظومة والمنقولة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : العربية

١- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

٢- ابن تغري بردي، حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور، تحقيق : محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بدون مكان للطبع ١٩٩٠.

٣- أبي العباس أحمد القلقشندي، ***صبح الأعشي***، القاهرة ١٩١٥.

٤- أحمد فؤاد متولى، الفتح العثماني للشام مصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية ، القاهرة ١٩٩٥.

٥- إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول ١٩٥١.

٦- جلال الدين السيوطي، نظم العقيان فى أعلام الأعيان، بيروت ١٩٢٧ .

٧- حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الفتح العثماني للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني، القاهرة ٢٠٠٢.

٨- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون،دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٩- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥.

١٠- سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، دار البشير للثقافة ، مصر ٢٠١٣ .

١١- السخاوي، التبر المسبوك فى ذيل الملوك، المكتبة الأزهرية، القاهرة (بدون تاريخ)

١٢- عبد الجليل التميمى ، دراسات في التاريخ العربي العثماني ١٤٥٣- ١٩١٨، زغوان ١٩٩٤.

١٣- عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى منح رب البرية فى فتح رودس الأبية تحقيق فيصل عبد الله الكندرى الحولية الثامنة عشر كلية الأداب – جامعة الكويت ١٩٩٧ م

ثانيا: العثمانية

١- أحمد رائف، خاطرئ اسلاف، دار سعادت ١٣١٠.
٢- أحمد رائف، طوب قبو سراى همايونى وباركنك تاريخى، استانبول مطبعة أميرية
٣- أحمد رائف، مرآت استانبول، استانبول ١٣١٤.
٤- سلطان أحمد باركى وآثار عتيقه سى، استانبول ١٩١٦.
٥- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، استانبول ١٣١٦.
٦- فريدون بك، منشئات السلاطين، استانبول ١٢٩٩ .
٧- محمد بن حاجى خليل القونوى، تاريخ آل عثمان، مخطوط بمكتبة ايسام، (بدون تاريخ).
٨- محمد ثريا، سجل عثماني ياخود تذكرء مشاهير عثمانية، دار الطباعة العامرة ١٣٠٨.

ثالثا: التركية الحديثة

9- Abdulkadir Özcan, "Ferîdûn Ahmet Bey", *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, XII, 396-397
10- Abdurrahman Daş, "Türkiye Selçukluları ve Osmanlı Dönemi Hakkında Tarihî Kaynak Olarak Münşeat Mecmualarının Değerlendirilmesi", AÜİFD XIV Sayı II (2004).
11- Ahmet Uğur, Kemalpaşa-Zade İbn Kemal, Ankara 1996.

12- Bursalı Mehmet Tahir Bey, *Osmanlı Müellifleri*, hz..A.Fikri Yavuz, İsmail Özen, Meral Yayınevi, İstanbul 1972,
13- Celalzade Mustafa Çelebi, *Selimname* ; haz. Mustafa Çuhadar, Ahmet Uğur, Ankara : Kültür Bakanlığı, 1990.
14- Erhan Afyoncu, Tanzimat Öncesi Osmanlı Tarihi Araştırma Rehberi, İstanbul 2007
15- Feridun Bey", *Türk Ansiklopedisi*, Milli Eğitim Basımevi, Ankara 1968.
16- Franz Babinger, *Osmanlı Tarih Yazarları Ve Eserleri,* İstanbul 1992.
17- Haksever, *Türk Edebiyatında Münşeâtlar ve Nergisî'nin Münşeâtı*, İnönü ünv. Sosyal bilimler Enst., (Basılmamış doktora tezi),Malatya, 1995.
18- Hasan Aksoy, " Fetihname", *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, C.XII, s.471.
19- İlyas Çelebi, *"Kemal Paşazade, Eserleri, Diyanet İslam Ansiklopedisi*, Ankara 2002.
20- İsa Kayaalp, "Kıvamı", *DİA.*, C. XXV, s.507
21- İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Devleti Teşkilatına Medhal,* Ankara : Türk Tarih Kurumu, 1984
22- İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Devletinin Saray Teşkilatı,* Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1988.
23- Kâtip Çelebi, *Keşfü'z-Zunûn*, trc. Rüştü Balcı, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul 2007,
24- Kıvami, *Fetihname-İ Sultan Mehmed*, (haz. Franz Babinger), Ankara: Maarif Vekaleti, 1955.
25- M. Fuad Köprülü. *Bizans Müesseselerinin Osmanlı Müesseselerine Tesiri*, İstanbul 1931.

26- Mahmut Ak, "Feridun Ahmet Bey", *Osmanlılar Ansiklopedisi*, Yapı Kredi Kültür Sanat Yayıncılık, İstanbul 1999.
27- Mehmed Raif, *Mir'at-ı istanbul*, yay. haz. Hatice Aynur ; yay.haz. Günay Kut, İstanbul: Çelik Gülersoy Vakfı, 1996.
28- Mehmed Süreyya, Yayına hazırlayan : Nuri Akbayar, *Sicil-i Osman-i*, İstanbul 1996.
29- Mehmed Süreyya,Yayına hazırlayan : Nuri Akbayar, Sicil-i Osman-i, İstanbul 1996, c. II, s. 520- 521.
30- Meydan Larousse,، Münşeât", C.9, İstanbul., 1971, s. 148.
31- Midhat Sertoğlu,Osmanlı Tarih Luğatı, İstanbul 1986.
32- Mustafa Erkan, Gazavatname, *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, C.XIII, s.439-440.
33- Münşî", Meydan Larousse, C.9, İst., 1971.
34- Necdet Sakaoğlu, *Bu Mülkün Sultanları*, 4.baskı, Oğlak Bilimsel Kitaplar, İstanbul, 2000.
35- Orhan Şaik Gökyay, "Tanzimat Dönemine Kadar Mektup", Türk Dili Dergisi, C.XXX, S.2, Ankara., 1974.
36- Refet Yinanç, "*Fatih'in Türkçe İstanbul Fetihnamesi*", TDA, sy. 29 (1984]
37- *Resimli, Haritalı Mufassal Osmanlı Tarih*, İstanbul 1957, C.1, s.456.
38- Robert Anhegger, "Mehmed b. Hacı Halil Ül-Kunevinin Tarihi Al-i Osamn", *Tarih Dergisi*, İstanbul 1951,
39- Robert Anhegger, Muallinin Hünkarnamesi, Tarih Dergisi, İstanbul 1949,S.1,
40- Sade Nesirden Süslü Nesire: *Fatihin Tarihiçisi Tursun Bey Tarihi Yazma Tarzı*, Osmanlı, Ankara 1999.
41- Tursun Beg, *The History of Mehmed the Conquerar,* trc. Halil İnalcık, Rhoads Murphey, Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1978.

42- Tursun Bey, *Tarih-i Ebul- Feth*, (haz. Mertol Tulum), İstanbul 1977.
43- Tursun Bey, *Tursun Bey'in Kaleminden Cihan Fatih'i*, İstanbul: Güncel Yayıncılık, 2003.
44- *Türk Ansiklopedisi*, " Feridun Bey", Milli Eğitim Basımevi,, XVI, Ankara 1968.